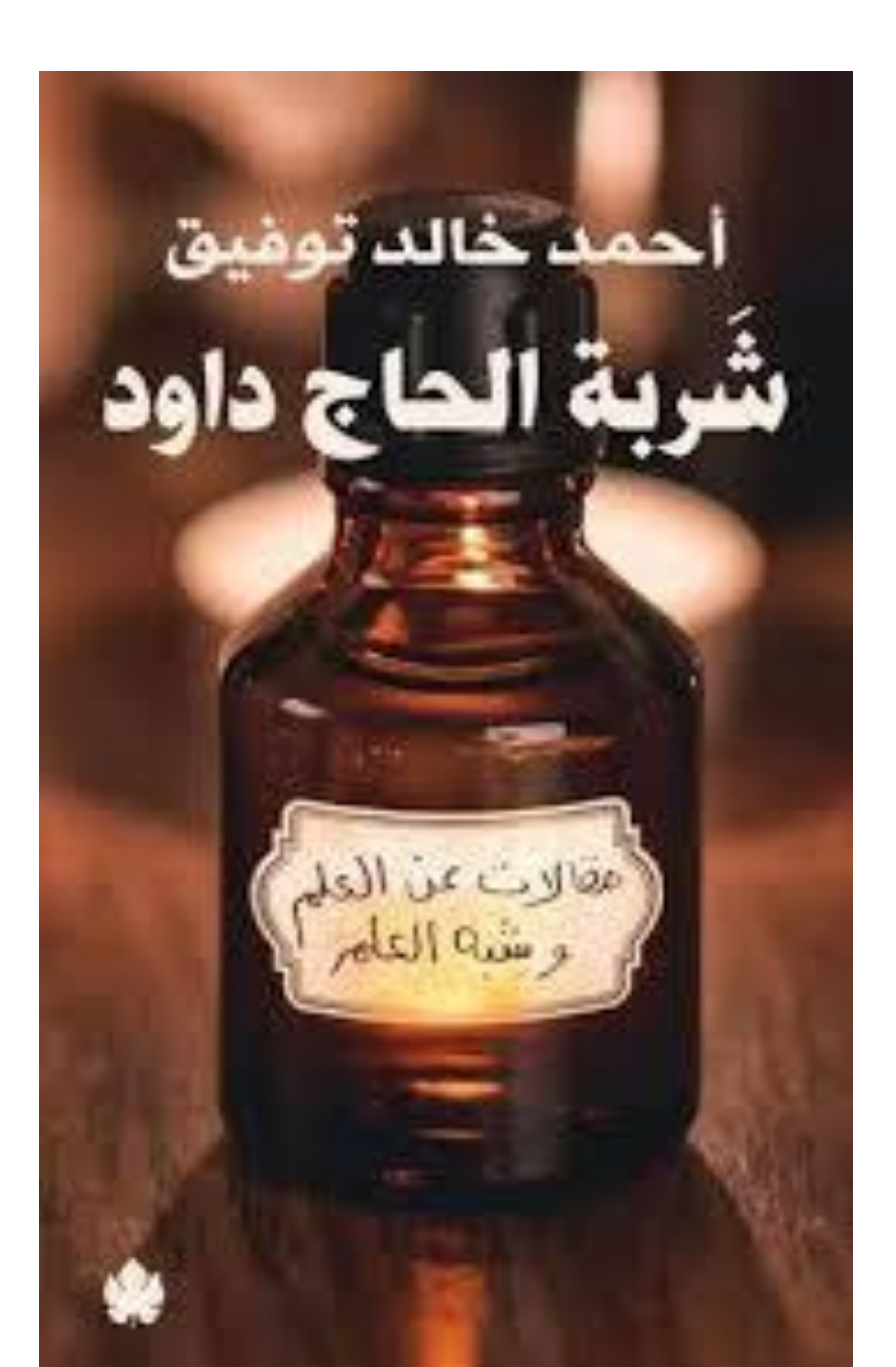

أحمد خالد توفيق
شَربة الحاج داود
مقالات عن العلم
وشبه العلم

أحمد خالد توفيق

شَربة الحاج داود

مقالات عن العلم وشبة العلم

دار الكرمة

تم تجميع المقالات من العديد من الصحف الالكترونية ،
ونأسف عن اى خلل فى الخطوط او النصوص ، والدكتور
أحمد منة براء
:D

مقدمة اللى سرق الكتب :)

او اللى جمعة

يعنى انا مصورتوش ، أنا جمعت المقالات من المواقع ، ألكتاب بثلاثيييين جنية ، وفى ناس بتحب القراية لكن بتحب الشاورما فراخ اكتر.

الكتاب عبارة عن مقالات مجمعة فاللى متابع كتابات الدكتور أحمد –ما عدا المقال اللى اتكلم فية عن الواد الع*ق المضحكاتى- مش هيحتاج انة يقرأ الكتاب

الكتاب أتقسم لخمس أجزاء

١- حكايات طبية

٢- علم <<الفودوو>>

٣-بعيدا عن العلم (وده علفكرة احسن بارت فى الكتاب)

٤- فتنة إنفلونزا الخنازير

٥- الحل

الجزء الاول

حكايات طبية

اجعلهم يمرضون

الكلاب تنبح في الطرقات، ولا صوت سوى صوت أقدامنا على الأسفلت.. بينما بدأ المطر ينهمر.. إنها الثالثة بعد منتصف الليل، وأنا ألهث لأن الشاب – ابن الحاجة عفاف - الذي يمشي بجواري يتمتع بلياقة عالية. في النهاية ندخل تلك الحارة المظلمة لا يضيئها سوى

مصباح واهن على باب بيت. فأر مذعور يركض جوار قدمي متواريًا،
ثم نجتاز بابًا مفتوحًا .. كل شيء يشي بالموت ودنو لحظة الفراق
.الكئيبة
كان هذا في الزمن الذي كنت أقوم فيه بفحوص منزلية، وهذا يعني
أننا كنا في النصف الأول من تسعينيات القرن الماضي، وقد استدعيت
لهذا الكشف عن طريق مستوصف أعمل فيه. كنت أعيش وحيدًا وقتها،
وليس هناك من يقلق لخروجي في ساعة كهذه أو يرتاب فيه، وحتى لو
تم خطفي وذبحوني وألقوا جثتي للكلاب، فعلى الأرجح لن يلاحظ ذلك
.. أحد .. الأهم أن اللصوص والسفاحين لا يلاحظون وجودي كذلك
حشد من الأطفال المذعورين يحيطون بك، وفي داخل البيت الفقير
متهالك الأثاث تتصاعد رائحة الدخان من عشرات اللفافات المشتعلة،
الأعمام .. وترى الوجوه المعتادة في أمور كهذه .. كلهم جاءوا للدفن
والأخ، والحاج فلان ابن الحتة الجدع الذي لا يترك جيرانه في كارثة
كهذه. لابد من وجود لبيب كذلك .. لبيب صديق الأسرة الذي يعرف
هذه الأمور، وهو من سيأتي بمن يقوم بالغسل ويبتاع الكفن. هناك
.. دائمًا لبيب في كل أسرة، وعند المسلمين والمسيحيين سواء
دخلت متوجسًا إلى غرفة نوم ضيقة بائسة لأجد تلك السيدة المسنة –
الحاجة عفاف - في الفراش .. مريضة جدًا كما هو واضح، لكني لا
استطيع أن أضع يدي على شيء ما ..حاولت انتزاع أي كلمات منهم أو
منها بلا جدوى. الفحص سليم تمامًا .. ضغط الدم أفضل مني .. الحرارة
عادية .. التنفس منتظم .. جاءوا لي بعينة من بولها في كوب زجاجي كي
أفحصه بحثًا عن سكر او أسيتون. لا شيء. صحيح أنهم جاءوا لي بعدها
بمياه غازية على سبيل الضيافة، و قد وضعوا المياه الغازية في كوب
مماثل لكوب البول تمامًا !، لكنهم اناس طيبون ورقيقو الحال لا شك

.. في هذا

في النهاية قالوا لي وهم يرتجفون إن الطبيب الفلاني أجرى لها فحصًا بالأشعة الصوتية وقال إن هناك نسبة تليف في الكبد.. وقال آخر إن الأملاح عالية في دمها ..

هكذا فهمت .. طلبت اشعة تليفزيونية أخرى وجمعت حاجياتي لأنصرف، مفكرًا في رحلة العودة المرعبة. سألوني عن أجري فرفضت .. هي ليست مريضة وبالتالي أنا لم أفعل شيئًا .. في تلك الأيام كان المرء نقي النفس لا يقبل مالاً إلا إذا أنجز شيئًا ملموسًا .. طبعًا صرت اليوم رجلاً ناضجًا كالآخرين يسعده جدًا المال الذي لا يستحقه .. فقط أريد الكثير منه لو أمكن ..

فيما بعد عرفت أن الأشعة سليمة تمامًا كما توقعت ... وعرفت أن الحاجة العجوز نهضت ومارست حياتها بشكل طبيعي. لم تكن تلك الليلة هي الليلة كما يقول الغربيون .. لقد جعلها الأطباء تشعر بدنو نهايتها ورقدت في الفراش تنتظر وهي سليمة ..

فيما بعد رأيت من الأطباء من يرسل المريض ليجري تحليل صورة دم، ثم يعلن – قبل أن يرى التحليل – أن المريض مصاب بفقر دم، ويكتب له أقراص الحديد. هو كان ينوي عمل هذا منذ اللحظة الأولى، لكن لابد من هذه الطقوس، وبرغم أن الحديد لا يناسب كل أنواع فقر الدم، بل إنه يؤذي بعض الأنواع. هناك الطبيب الذي يرسل المريض ليحلل نسبة حمض البوليك في الدم، ومهما كانت النتيجة يعتبر أن المريض مصاب بالنقرس، ويدخله في دائرة منع اللحوم والكبد والشاي والقهوة والتدخين..

اختبار فيدال اختبار قديم فاشل يقيس وجود البكيتريا التي تسبب حمى التيفود. لاحظ أن اسمها حمى التيفود .. أي أن المريض يجب أن



يكون محمومًا، ويجب أن يكون محمومًا منذ أسبوع على الأقل. لكن الأطباء يجرون اختبار فيدال لأي مريض يشكو من أي شيء حتى لو كانت حرارته عادية .. تأتي النتيجة مرتفعة غالبًا ولا قيمة لها على الإطلاق .. فيقول للمريض:

"انت مصاب بنسبة تيفود في الدم".

الآن لم يعد المريض شخصا عاديًا. لقد صار (صاحب عيا) وهو يمشي حاملاً الأبحاث قلقًا، يفكر كل ليلة في الرقم الذي وصلت له نسبة التيفود اليوم، ويتعاطى أطنانًا من المضادات الحيوية الغالية وهو ليس مريضًا أصلاً .

أستاذنا السكندري العظيم حلمي أباظة قال لنا ساخرًا:

"مصر ليست مصابة بوباء تيفود .. مصر مصابة بوباء فيدال"! -

هناك موضة اخرى هي ما يسمونه اختبار بلهارسيا الدم، وهو اختبار لا قيمة له بدوره .. يخبرك فقط أن المريض أصيب ببلهارسيا يومًا ما، أي أنه موجب لدى كل من عاش في قرية، لكنه جلب ثروة طائلة للمختبرات .. وترى المريض يمشي مهمومًا كاسف البال يحمل مظروفًا سميكًا طبعًا سوف يجري أشعة .ويخبرك أنه مصاب ببلهارسيا الدم تليفزيونية فيقال له إن هناك نسبة تليف في الكبد، من ثم يكتب وصيته ويبتاع كفنًا ...

العيادات تلعب لعبة قاسية، هي أن تجعل الأصحاء يشعرون بأنهم مرضى جدًا .. ربما هي الحاجة للكسب والضغوط المادية الطاحنة، وربما هي الرغبة في أن يكون هناك (أكشن). أن يعيش المريض لحظات درامية قاسية إلى ان يقول له الطبيب باسمًا: مبروك .. اختفت بلهارسيا الدم!

اخلق مرضًا لا وجود له ثم عالج المريض منه .. للأسف هذه هي قاعدة



العمل لدى أطباء كثيرين. والمشكلة الأكبر أن هناك مرضى يحبون جدًا أن يشعروا أنهم مرضى، وأن حالتهم خطرة ، ويكرهون بجنون الطبيب الذي يخبرهم أنهم بخير .. سوف اتحدث عنهم في مقال قادم إن شاء الله

باثوفيليا

لا أدري إن كان هذا المصطلح موجودًا و تمت صياغته من قبل أم لا، لكني قمت بتركيبه من لفظتين هما (باثو + فيليا) لأدلل بذلك على حب المرض

يصعب على الناس – وبعض الأطباء – أن يصدقوا أن هناك أشخاصًا يحبون المرض بجنون. هناك في الطب مرض اسمه متلازمة (منخاوزن)، والاسم نسبة للبارون منخاوزن .. (أبو لمعة) الألماني .. أكبر كذاب في التاريخ. بالنسبة لمتلازمة (منخاوزن) فهي تسمى أحيانًا إدمان المعطف

الأبيض أو إدمان المستشفيات. هنا يزور المريض المستشفى يوميًا تقريبًا ليحير الأطباء بمجموعة أمراض عجيبة تربكهم. هو يستمتع بهذا وبالشعور بأنه مريض جدًا حير مرضه الأطباء. هناك في كتب الطب طرق عدة لتحديد المريض من هذا الطراز، وهو يقترب كثيرًا من مريض الهستيريا والمتمارض .. إنه كابوس الأطباء، ومن علامات المرض أن تجد ندوبًا قديمة لجراحات استكشافية سابقة .. فالجراحون المرتبكون يضطرون كثيرًا لفتح هذا الصندوق ليعرفوا ما فيه.

عندما تخبر الشخص العادي بأن هناك من يحب المرض يضحك ساخرًا ، ويقول الكلمة الشهيرة: "هو فيه حد بيحب يعيا؟" بالفعل لا يوجد شخص يحب أن يمرض بداء عضال خطير. لا يوجد من يتمنى أن يصاب بالسرطان أو الفشل الكلوي على قدر علمي .. لكن فيما عدا ذلك فالإجابة هي (نعم.. نعم)

ولكن ما جدوى ادعاء المرض ؟

ادعاء المرض يجعل المرء يظفر بالشفقة والعناية الزائدة... ادعاء المرض يضفي عليه لمسة استشهاد لا شك فيها .. إنه رجل نبيل يتحامل على نفسه ويخفي آلامه عن الناس.. ثانيًا هو يرفع عنه المسئوليات، من منطق أنه ليس على المريض حرج .. هناك ادعاء مرض مركب .. أي أن

يتظاهر الرجل بأنه مريض نبيل يخفي مرضه عن الناس حتى لا يقلقوا! هكذا يقضي وقته في أداء تمثيلي مذهل .. يرسم الألم على وجهه ثم يخفيه لأن الآخرين يرونه . وينظر لك نظرات جانبية ويسبل عينيه بمعنى (لا تدعهم يعرفوا أرجوك .. دعني أتألم في صمت!)

هناك من الناس من يضعك تحت انطباع دائم أنه مريض للأبد . لا تعرف هو مريض بأي شيء بالضبط. المهم أنه مريض وعليك ألا تتعبه ولا تجادله كثيرًا، حتى لو صفعك على وجهك أو مد يده فأخرج ما معك من نقود. هناك من يتابع البرامج الطبية ويقول مع كل مقطع: هذا أنا بالضبط! تذكره أن المتكلم في التليفزيون يناقش مرض سرطان القولون الناتج عن مرض الإيدز، فيكرر: أنا بالضبط!!

عرفت صديقًا لي كلما وقع في مشكلة أعلن أنه ذاهب لإجراء بعض الفحوصات لأن رئته ليست على ما يرام ، ويذرف الدموع ويعانق الجميع .. تنهار زوجته وتبكي ويبكي أطفاله، بينما أنا أردد أنني لا أجد سببًا لهذا الفيلم العاطفي .. ما الهدف؟

يقوم بعمل أشعة على الصدر وعدة فحوصات، ويخبره الأطباء أنه لا توجد مشكلة. يخرج من عيادة الطبيب باكيًا فيعانق الجميع من جديد ويغفر لأعدائه .. ويرتمي في حضن زوجته ويرتجف .. بينما أردد أنا من

جديد أنه لا توجد مشكلة أصلاً ... لكن أحدًا لا يستمع لي .. أبدو لهم سخيفًا جدًا ومدعيًا يتظاهر بالذكاء

من ضمن الباثوفيليا، هناك المرضى الذين يعشقون الأدوية بجنون. إن للأدوية فتنة خاصة، والناس تعشقها .. كم من مرة تشاجر هذا المريض أو ذاك مع الطبيب لأنه يرغب في أن يكتب له المزيد من الفيتامين، برغم أن الفيتامين لا لزوم له إلا في حالات نادرة. وقد قال عالم أمريكي إن أعلى تركيز للفيتامينات موجود في شبكة مجاري المدينة، لأن أجسامنا تتخلص منها غالبًا باعتبارها زائدة!

أراقب في هلع ذلك الرجل عاشق الدواء الذي يأخذ أدوية مضادة للتأكسد (لأن الأطباء يرون أنها مهمة) وأدوية تنشط الكبد (لأن هذا يؤثر في المزاج) وأسبيرين لسيولة الدم، ومشتقات عشب كذا الصيني لتحسين حالة الكبد، ومشتقات نبات كذا لتحسين حالة المخ .. هو كذلك لا يترك الطب الطبيعي في حاله . لابد من كوب من منقوع الأعشاب وفصين من الثوم مع ملعقة عسل أبيض على الريق، لا بأس بكوب من اليوجورت (الزبادي) عليه ملعقة من (الردة)

تسأله عن المرض الذي يعالجه بكل هذه الأدوية، فيقول ببساطة إنه يتعاطى هذا كله كي لا يصاب بالمرض الذي أسأل عنه، وهو بالتالي لا يعرفه!

ابتلاع كل هذه الأدوية يعطيه لذة لا شك فيها، ويشعره بأنه شهيد .. شركات الأدوية تصنع أدوية كثيرة لا جدوى منها، وهكذا يشفى المريض عندما يكف عن تعاطيها .. أي أن هناك علاجًا مهمًا اسمه التوقف عن العلاج.

الباثوفيليا .. موضوع شديد التعقيد .. وأراه دليلاً واضحًا على عدم النضج، خاصة أن المدعي يتلذذ بجعل حياة من يحبونه جحيمًا .. وفي الغالب يصابون جميعًا بنوبات قلبية ويموتون، بينما يظل هو صامدًا كصخرة.

يجب على المرء أن يضع الباثوفيليا ضمن تشخيص أي مرض، ولكن عليه ألا يبالغ في ذلك. أذكر عندما كنت طبيب امتياز أن مريضًا تبدو عليه علامات الاضطراب النفسي والجنون جاء إلى الاستقبال العام يصف لي أعراضًا مبهمة، فطلبت منه أن يرقد على سرير الفحص. تدخل صديقي الطبيب وهو يوشك على الموت ضحكًا، وقال لي بالإنجليزية إن هذا المخبول يأتي كل ليلة ليقول نفس الكلام .. اطرده .. حاولت أن افتح

فمي لكن صاحبي كان كالعاصفة .. هيه !.. لا تكن أبله .. ثق بكلامي ..اخص !... يا لك من احمق إذ تضيع وقتك مع هذا .. هلم .. صدقني !.. اخص !... وكتب للمريض أقراص فيتامين وطرده. بعد دقائق جاء الطبيب المقيم للأمراض الباطنية د. حسام فايد ليسألنا بأدب عمن فحص هذا المريض.. أي مريض؟.. مريض الهبوط القلبي الذي سقط على الأرض مغشيًا عليه بعد الخروج من عندنا!...سقط عند قدمي حسام فايد طبعًا. وأضاف الطبيب البارع: "أنا أشتبه بوجود سدة رئوية .. لابد من أن تدخل هذه الحالة العناية المركزة!"

بحثت عن صديقي العبقري الذي يعرف كل شيء فلم أجده طبعًا !.. لمرة واحدة لم يكن المريض يمارس الباثوفيليا بل كان مريضًا وفي حالة خطرة فعلاً. هكذا يجب على الطبيب ألا يفْرِط أو يفَرّط . وعلى المريض ألا يتسلى بادعاء المرض وخداع الطبيب لأن نتائج هذا وبيلة

وفاة فيروس

لا أشعر أن مشكلة فيروس كورونا خطيرة لهذا الحد إذا وصل إلى مصر.. والسبب سأشرحه حالاً

هناك درجة معينة من سوء الأحوال الاقتصادية قد تحميك من الأخطار. الأطفال الأفارقة تختزن أجسامهم الأفلاتوكسين –سم الفطريات– في صورة غير سامة فى البداية. تحتاج هذه المادة إلى بروتين كى تعطينا السمّيّة الكاملة. هذا لا يحدث بسبب سوء التغذية وقلة البروتين. عندما تتحسن الأمور نوعًا ويأكل الصبى اللحم، ينشط الأفلاتوكسين ويحدث سرطان الكبد!.. هكذا تجد أن الجوع يحمى الأطفال السود من سرطان الكبد، فهل يحمينا جو مصر من الفيروس؟. يمكننا تخيل ما حدث..

عندما وصل الكورونا إلى مصر كان يحمل هذا الاسم المخيف MERS-CO ومعناه (المتلازمة التنفسية الخاصة بالشرق الأوسط الناجمة عن فيروس كورونا). هبط من الطائرة وهو يتحسس شاربه فى ثقة كما يفعل مستر اكس فى الأفلام.. غدًا سوف يغزو البلاد وسوف تمتلئ عنابر المستشفيات. هل تذكر السارس SARS الذى ارتجفنا من هوله منذ أعوام، والذى فتك بمكتشفه الطبيب الإيطالى كارلو أوربانى؟ إن فيروس سارس هو أخو فيروس الكورونا مع اختلاف بسيط. بل إنه يتذكر أوبئة الانفلونزا الشهيرة. وباء ١٩١٧ مثلاً الذى لم يترك مخلوقًا على ظهر الإرض إلا وأصابه، وقد دفنت قرى كاملة تحت الثلوج بعد ما مات كل أهلها..

كان فيروس الكورونا يأمل أن يكرر هذه الأمجاد عندما وصل إلى مصر، خاصة أن الكثافة السكانية العالية والتكدس يسمحان له بالبقاء والتكاثر للأبد..

من البداية كانت العملية صعبة. إن عبور الطريق بالنسبة لفيروس مسالم عملية شبه مستحيلة وسط أزمة المرور المستعصية والميكروباصات المجنونة، وعندما حاول أن يستعمل أحد سائقى السيارات كوعاء فإنه فوجئ بأن السيارات لا تتحرك بتاتًا... هذا موقف سيارات كبير بحجم مدينة..

لاحظ أشياء عديدة فى جسم من حاول أن يصيبهم.. هناك الكثير جدًا من دخان العادم ودخان السجائر ودخان الشيشة والغاز المسيل للدموع.. هؤلاء القوم يتنفسون دخانًا لا هواء، والجو ملوث بشكل لا يوصف.. لقد أصيب الفيروس بالربو ولم يعد يستطيع التقاط أنفاسه.. يحتاج لجلسة استنشاق..

عندما حاول أن يتسرب إلى دم هؤلاء، وجد أنهم يعانون فقر الدم بشكل أو آخر.. هذا دم لا يسمح بتكاثر فيروس مكتمل العافية مفعم بالفحولة. هناك نسبة عالية من مادة ترامادول

كذلك.. وهذا جعله يترنح وبدأ يصيح: «اخص عا الصرصار اللى فى الملوخية !». كان فى حالة غريبة من الصهللة والرغبة فى إحداث صخب وإزعاج.. ما لا يعرفه أن هذا ترامادول صينى مغشوش مما يمسح المخ مسحًا... أى أن المخدرات القاتلة يتم غشها بمواد أكثر فتكًا !...

فوجئ بفيروس آخر من أسرة RNA يمسك به.. يأخذه مقص حرامية ثم يطعنه بمطواة قرن الغزال فى وجهه، ويطالبه بأن يدفع إتاوة أو أرضية.. عندما تتسلل لكبد يعبث فيه الفيروس (سى) فعليك أن تحمى نفسك. فيروس سى موجود هنا منذ زمن، ويشكل أعلى نسبة له فى العالم، وقد تعلم أن يتكيف مع كل شىء، وتعلم أساليب البلطجة والفتونة. عليك أن تدفع له ثمن تواجدك هنا وإلا فلتبحث عن مكان آخر تعمل فيه. هناك أقاويل عن جهاز سوف يتخلص من هذا الفيروس ومعه الإيدز وسواهما ويحولهم لصباع كفتة يتغذى به المريض، وهذا يفترض أن وزن الفيروس ٥ كيلوجرام مشفّى.. لكن الكورونا ليس مؤهلاً لفهم هذه التفاصيل العلمية على كل حال..

لقد تعلم الكورونا أشياء كثيرة فى مصر ؛ منها أن الملاريا فيروس.. كان يعتقد أن الملاريا حيوان وحيد الخلية protozoon وهذا يتعلمه أى طفل فى الصف الثانى الإعدادى، لكنه اكتشف أن هذا غير صحيح كما قال مبتكر جهاز التشخيص.. الملاريا فيروس مثله، ولعله يكتشف فيما بعد أنه – أعنى الكورونا – دكر بط.

حاول أن يحتمى فى أعلى الجهاز الهضمى، لكنه فوجئ بكميات من اللبن المخلوط بالسيراميك واللحم منتهى الصلاحية، والزيتون الأسود المطلى بالورنيش، والجبن المحفوظ بالفورمالين. ثم غرق فى بركة من ماء المجارى العطن.. عرف أنها مياه معدنية ابتاعها صاحب الجسد ليشرب ماء نقيًا، غير عالم أنها مملوءة من الحنفية..

فجأة ساد حر رهيب، وارتفعت الحرارة إلى حد غير مسبوق.. بعد هذا أدرك الفيروس البائس أن الأمر يتكرر خمس مرات يوميًا.. الحرارة ٤٢ مئوية والكهرباء تنقطع لخفض الأحمال فلا مراوح ولا أجهزة تكييف. هذه مشكلة لم يجد أحد حلها وتبادلت كل الحكومات الاتهامات بشأنها.. قالوا أيام الرئيس السابق محمد مرسى إنه يصدر الكهرباء لغزة، ثم ظهرت المشكلة بنفس العنف بعد الإطاحة بمرسى، وقيل إنها بسبب نقص الغاز أو عطل فى المحولات أو مؤامرة أو لعبة سياسية.. لا أحد يفهم وبالتالى لا أحد يعرف كيف يحل المشكلة... المهم أن الفيروس لا يستطيع أن يتحمل هذه الظروف..

تسلل إلى دورة مياه عمومية فراح يفرغ أحشاءه من القرف.. المنظر لا يوصف والرائحة ألعن.. مشى للباب مترنحًا لكن الرؤى تدخلت، وبدأت أشياء تكبر وتصغر أمام عينه وظهرت بقعة سوداء في مركز الرؤية...

بعد قليل عرف أن وعيه ينسحب.. الحياة تتسرب منه.. سقط.. لقد قضت مصر على الفيروس..

كما ترى أنا مطمئن.. هذا الفيروس الرقيق الواهن سوف يصاب بالتسمم ويموت، فلا مكان له في مصر.. لا داعي للقلق

حكايات النوم

سمعت الكثير من حكايات ما قبل النوم، لكني — على قدر علمي — لم أسمع حكايات النوم نفسه من قبلُ. سأعترف لك أنني أحب النوم وأحترمه كفَنٍّ راقٍ، لكني لم أمارسْه ببراعةٍ قط ... أعرف أشخاصًا ينامون وهم يستكملون كلامهم معك، ومن ينامون بمجرد أن يميل رأسهم بزاويةٍ أقل من ٩٠ درجة. يعني لو صارت الزاوية ٨٨ درجة لتعالى شخيرهم باعتبارهم في وضعٍ مناسبٍ للنوم. كان هناك لغم دبابات ألماني يعمل بهذه الطريقة. هؤلاء هم أنقياء الضمير الأطهار، وهم يختلفون كليةً عن الأوغاد مُثْقَلِي الضمير مثلي على ما يبدو.



تعلمت دومًا منذ طفولتي أن أهاب ساعات الليل؛ لأنها تحمِل الأرقَ والشعور بالوحدة وسط
هكذا تقول لي ساعات ... الآخرين الذين يُجيدون فن النوم ويتعالى شخيرهم ... أنا مختلف
الوحدة القلقة في الظلام. دعك من أنني من البؤساء الذين يراقبون عملية النوم ويتربصون
بقدومه، والنوم فراشة لا تهبط على كَفِّكَ أبدًا إلا عندما تَغفُل عنها. مهما كنت مرهقًا أو
محتاجًا إلى النوم فمن المستحيل أن يتم الأمر بسلاسة، وبما أنني ضمن العصابيين بامتياز؛
فإن ثنية واحدة في المُلاءة تكفي لتجعل حياتي جحيمًا. تتمنى أن تتعلم شيئًا من القطط،
والقطط — كما تعلم — خبيرة نوم متخصصة فيه، وتعرف كيف تنعم بكل ثانية منه، ثم
تنهض وتتمطى وتصحو مفعَمة بالنشاط، بينما تصحو أنت من النوم كأنما مَرّتْ على جسدك
دبابة بانزر. تعلّمْتُ التعامل مع المنوِّمات منذ وقتٍ قريبٍ جدًّا، ولكن المشكلة هي أنك
ستجدها حلًا بارعًا سهلًا، ولن تنام بعدها تلقائيًّا أبدًا. لفترةٍ تحمِّس الناس للميلاتونين
الذي يفرزه الجسم الصنوبري، وعرفنا أن أساتذة اليوجا الهنود يبدءون يومهم بشرب كوب
من بَوْلهم؛ لأنه يحوي تركيزًا هائلًا من الميلاتونين، وهي مادة قادرة على ضبط إيقاع النوم
والوصول إلى حالة «النيرفانا». كلنا تناسَيْنا موضوع البول هذا وأخذنا أقراص الميلاتونين
ليلًا، وصحونا شاعِرين بأننا كُنّا في خلاط أسمنت. لو كانت هذه هي النيرفانا فلتذهب
للجحيم.

عرفت امرأة كانت تقول لي إنها كلما شعرت بالأرقِ نهضت لتتناول لُقمة خبز كبيرة ... تتوقف
اللقمة في بلعومها فتختنق ويرتفع ثاني أكسيد الكربون في دَمِها ... وهكذا تنعم بالنوم في
كل ليلة! طريقة عنيفة ولا تروق لي جدًّا. هناك طريقةُ عَدِّ الغنم في الظلام، وهي طريقة لم

تُفلح معي قط؛ لأنني كنت أتخيل شكل الغنم وشكل القرون وشكل الحاجز بدقة بالغة ... النتيجة هي توتُّر مفرط ...

، ثم اخترع الأطباء هذا Sleep apnoea منذ أعوام لم نكن نسمع عن توقُّف التنفُّس أثناء النوم المرض كما اخترعوا السرطان والإيدز، وصار هناك مختبر نوم، وعرَفنا هذه الكارثة التي تصيب أشخاصًا كثيرين، وبصفةٍ خاصة البدينين والمدخنين. هذا البائس يصحو من نومه مذعورًا عشرات المرات أثناء النوم لأن نَفَسَه قد انقطع، ثم يعاود النوم. الفكرة هي أنه لا يذكر هذا عندما يصحو صباحًا، لكنه يعاني كل أعراض الانقطاع عن النوم؛ فرأسه يوشك على أن ينفجر من الصداع، وهو يشعر بخمول شديد، وغالبًا ما يفسر هذا بالاكتئاب أو تأثير أم طبعًا قيادة سيارة في .العيال النكدية ... سوف يحاول تذكُّر اسم ابن خالته لكنه عاجز عن هذا حالةٍ كهذه معناها حادث ينتظر أن يحدث. كل اضطرابات النوم والساعة الداخلية تقود كما في المواعيد الصيفية — يضاعف – لحوادث ... لاحظوا في الغرب أن تقديم الساعة حوادث المرور لمدة ٣ أيام تالية.

لاحظت أن معظم المصابين بمرض توقُّف التنفس أثناء النوم يعانون ارتفاع ضغط الدم والبدانة. والتشخيص يتم عبر ما يسمى مختبر النوم الذي يراقب سلوك المريض وهو نائم. العلاج جراحة معقَّدة لانتزاع سقف الحلق الناعم، أو جهاز تنفُّس له ضغط عالٍ يتنفس منه ليلًا.

التي كتبها رو آلد دال، يقوم النازيون بتعذيب «في قصة الجاسوسية الممتعة «٣٦ ساعة العميل الأمريكي بايك عن طريق حرمانه من النوم. هناك جندي يقف جواره ويركله أو يضربه أو يسكب ماءً باردًا عليه كلما أوشك على النوم. النتيجة هي أن العميل يدخل في حالة فلا يعرف إن كان ما يدور حوله حقيقيًّا أم خرافة. Hypnagogia معقَّدة بين النوم واليقظة يصير مستعدًّا للاعتراف بأي شيء.

منذ عام ٢٠١٠ انتشرت قصة مخيفة على شبكة الإنترنت تحكي عن تجرِبة مماثلة قام بها السوفييت، ولا شك أنك تعرفها من الفيس بوك؛ لأنها منتشرة بين الشباب جدًّا. نظرًا لسُمك الستار الحديدي وولع السوفييت بالغموض، فإنه من السهل أن تصدق أي شيء. تحكي القصة عن قيام الباحثين السوفييت عام ١٩٤٠ — في ذروة الحرب العالمية الثانية — بإبقاء خمسة سجناء متيقظين لمدة ١٥ يومًا، وذلك عن طريق غاز منبِّه معين اسمه «غاز نيكولاييف». لم تَكُنْ هناك دوائر كاميرا مغلقة؛ لذا كان التفاهُم يتم معهم عن طريق

الميكروفون وعبر زجاج النافذة السميك. في الغرفة كان كل ما يلزم للحياة لمدة شهر؛ مِن كتبٍ وماءٍ وطعامٍ، لكن لا أَسرّة.

مضت التجربة في سلامٍ أول خمسة أيام، وطبعًا كان الخمسةُ سجناءَ حرب. لا يمكن أن تتخيل أن يتطوع أحدهم لهذا الخبال. بعد خمسة أيام بدأ السجناء يتكلّمون عن الظروف القاسية التي قادتهم لهذا الوضع ... بدأت أعراض البارانويا، وبدأ كلٌّ منهم يهمس في الميكروفون عارضًا الاعتراف على زملائه.

بعد تسعة أيام بدأ الصراخ من أحدهم ... ظل يصرخ من أعماق قلبه ثلاث ساعات حتى مزق المرعب ليس الصراخ، بل كوْن أي واحد من رفاقه لم يُبالِ بما يحدث ... أحباله الصوتية كأنهم لم يسمعوا. راحوا يمزّقون الكتب ويلوِّثونها ببرازهم ثم يلصقونها على فتحات الغاز. في اليوم الرابع عشر لم يعُد السجناء يستجيبون ... برغم النداء المتكرر عليهم في الإنتركوم. هكذا اضْطُرّ مصمّمِو التجربة إلى دخول الغرفة بعدما هدّدوا السجناء بالقتل لو حاولوا الهرب. كانت النتيجة هي أن صوتًا هادئًا رد على التهديد: «لا نريد الخروج من هنا.»

تم اقتحام الغرفة وضخوا فيها الهواء النقي وطردوا الغاز ... لكنهم سمعوا السجناء يتوسلون كي يبقى الغاز في الغرفة. فوجئ الجنود بأن هناك أربعة سجناء أحياء من خمسة ... ليسوا أحياءً بالمعنى الحرفي للكلمة. لقد انتزعوا بعض قطع لحم الميت وسَدُّوا بها البالوعة، فارتفع الماء الدامي في أرض الزنزانة. كان معظم الناجين يعانون من تمزّق قطع لحم من أفخاذهم وأذرُعهم. واضحٌ أن معظم هذه الجروح تمت بأصابعهم هُم؛ أي إن كل واحد مزّق لحمه بنفسه. تمضي القصة أكثر لتزعم أن الضلوع والرئتين كانت ظاهرة لدى الأربعة، وكذلك أعضاء ما تحت الحجاب الحاجز. من الواضح أنهم كانوا يتغذّوْن على لحمهم الخاص. من الغريب أن السجناء قاوموا بشدةٍ محاولات أَخْذهم من الغرفة، وانتزعوا حنجرة جندي سوفييتي وشريان فخذ جندي آخر ... لقد كانت التجربة قاسية على الجنود أنفسهم لدرجة أن خمسة منهم انتحروا في الأسابيع التالية. أما عن السجناء الباقين فقد نُقِلُوا لمصحة نفسية وهم لا يَكُفُّون عن طلب الغاز، وكانت هناك استحالة في تخديرهم لإجراء جراحة ... لم يستجيبوا للمخدِّر بأي شكل، وأحدهم مَزّق الحزام الذي يربطه لمنضدة الجراحة. أحد المرضى راح يضحك أثناء الجراحة لدرجة أن الجرّاح لم يستطِع العمل. كان السجناء يرغبون في مزيدٍ من الغاز ليظلوا متيقّظِين. للقصة نهاية درامية حول أحد العلماء الذي قَتل السجناءَ رحمةً بهم، ثم قتل القائد السوفييتي بعدما ألقى أحد السجناء كلمة بليغة حول: «أنت تتساءل من نحن .... أنت تخشانا لأننا الجنون الكامن فيك والذي يحاول أن يخرج ... إلخ ... إلخ»

.هذه الخطبة الأخيرة كانت كافية لتهدم مصداقية القصة لديَّ؛ جوُّها مسرحي أكثر ممَّا ينبغي

قالت مواقع التدقيق في الخرافات إن هذه القصة خيالية نشرها موقع مختص بالقصص الغريبة اسمه «كريبي باستا»، ويقال إن مؤلفها يُسمِّي نفسه «صودا البرتقال». سرعان ما تتسرب هذه القصص الخرافية لتصير أخبارًا يعتقد الناس أنها حقيقية … بل هم يرغبون في أن تكون حقيقية.

على الأقل مهما كان المرء ضحية للأرقِ فلن يبلغ الأمر هذه الدرجة من السوء، ولن يلتهم لحم فخذَيه. هذه مزية سماع القصص المرعبة. راقت لي هذه القصة، ليس لأنها مخيفة، بل لأنها نواة رواية ممتازة يمكن وضع خطوطها العريضة. نسيت طبعًا أن أقول لك إن بدء الكتابة والاستذكار طريقتان ممتازتان كي يأتيَ النعاس، هكذا سقط القلم من يدي وأنا أحاول رسم خطة الرواية، وهكذا حَلّت هذه القصة الخرافية مشكلتي الخاصة!

عن طب المناطق الحارة (ستة اجزاء)

(عن طب المناطق الحارة (١

عامة لا يكتب الأطباء المصريون عبارة (طبيب مناطق حارة) على عياداتهم، لأنهم سيتلقون السؤال الدائم: "ما الذي تعالجه بالضبط؟" من ممرضيهم والسباكين والنجارين.. لن يتلقوا هذا السؤال من مرضاهم الذين لن يأتوا أصلاً لأنهم لن يفهموا

معنى العبارة.. هناك تعبير آخر هو (الأمراض المتوطنة) وهو أكثر غموضًا، دعك من أنه يستجلب للذهن مستشفى الأمراض - المتوطنة الخاصة بوزارة الصحة التي هي غالبًا - عبارة عن بناية متهدمة من طابق واحد بها طبيب تعس يعالج ديدان الأنكلستوما بأقراص الببرازين.. أي أنه (كاتب ببرازين)، والفارق بين الطبيب البارع ومتوسط البراعة هنا هو سرعة الكتابة..

كانت تجربتي الأولى مع هذا الفرع من الطب وأنا طالب (عام ١٩٨٤ غالبًا) .. لم أكن أعرف عنه إلا ما يعرفه أي واحد آخر، ثم حضرت حلقة دراسية كان المحاضر فيها أستاذًا من الإسكندرية (هو د. (حلمي أباظة ..

كانت ملامح وجهه ذاتها تذكرك بوجوه العلماء الذين تراهم في مقدمة الكتب الطبية الغربية، فلو كان في بريطانيا لحمل لقب (سير).. وكانت حالة الدرس مراهقًا تعسًا يعاني الإسهال المزمن منذ سبعة أعوام.. رأيت د. (حلمي) يفند الاحتمالات ويناقشها بطريقة عقلانية منطقية أثارت دهشتي وانبهاري، ووصل للتشخيص الصحيح كما أثبتت الأبحاث فيما بعد..

كنت حتى هذه اللحظة لا أرى إلا التعليم التقليدي على غرار:
الجميع يعرف هذا .. هذه حالة طحال متضخم بسبب البلهارسيا
..لكن تعالوا نتظاهر بأننا لا نعرف.. سنقول كذا وكذا

كان هذا يبدو لي تلاعبًا بالمنطق: سوف نبحث عن المضاعفات
التي سببها تضخم الطحال.. صحيح أننا جميعًا نعرف أنه متضخم
لكننا لا نعرف ذلك بعد.. فقر الدم ناجم عن تضخم الطحال أو
نزف الجهاز الهضمي.. لا يمكن أن يكون ناجمًا عن سبب آخر لأننا
نعرف أن هذه حالة تضخم طحال، لكننا متفقون على أننا لا
..نعرف

رأيت للمرة الأولى كيف يفكر الطبيب (لكن مع الدكتور (حلمي
في حالة ملغزة لا يعرف عنها إلا ما نعرفه نحن.. لقد كان أول
نموذج أقابله لطبيب المناطق الحارة مبهرًا اختاره لي القدر
بعناية.. وفيما بعد عرفت أن الدكتور (حلمي أباظة) هو أحد
أقطاب هذا العلم في مصر، ولفترة لا بأس بها كان مشرفًا علميًا
على قسمنا الوليد في طنطا، بل إنه أشرف على رسالة الدكتوراة
..الخاصة بي

انبهرت بطب المناطق الحارة وصممت على أن أدرسه وأن أكون
من هؤلاء.. صحيح أن الدكتور (حلمي) كان وما زال ظاهرة

متفردة لم أر منها إلا نماذج قليلة، وصحيح أنني لم أصر من هؤلاء) لكني على الأقل عرفت أنه علم محترم شديد الأهمية)..

فيما بعد عرفت أن طب المناطق الحارة هو الطب الذي يتعامل مع الأمراض التي تسود المناطق الاستوائية وتحت الاستوائية.. يوشك هذا العلم أن يكون بريطاني المولد أملته حاجة أطباء الإمبراطورية إلى فهم تلك الألغاز التي قابلتهم في المستعمرات في القرن التاسع عشر.. ألغاز مثل الملاريا وداء النوم والطاعون والتيفوس والحمى الصفراء ومرض الفيل والكارثة المسماة بلهارسيا..

إن المناطق الحارة تمتاز بحرها ورطوبتها وقلة الرعاية الصحية فيها.. لهذا تعد مملكة الأمراض المعدية والطفيليات وأمراض سوء التغذية وأمراض الحرارة.. هناك أمراض قد يتخرج الطبيب العادي وهو لا يعرف أنها موجودة في العالم.. مثلاً مرض الـ Yaws ؟.. ما أعراض koro والـ Kuru الشبيه بالزهري.. ما الفارق بين الـ ؟.. ما Chaga التسمم بنبات الكاسافا؟.. ما هو مرض شاجا الفارق بين لدغة ثعبان البحر وثعبان المرجان؟.. كيف تميز لدغة العنكبوت السام عندما تراها؟

قد تبدو هذه أمراضًا خيالية جدًا بعيدة جدًا.. لكن يجب أن نتذكر أن الطيران جعل العالم صغيرًا جدًا.. ها هو ذا فيروس (ماربورج) الإفريقي المخيف يجتاح مقاطعة في ألمانيا جاء ها مع قردين، وهاهو ذا فيروس إيبولا يهدد الولايات المتحدة مع مسافر يقيء دمًا، وفي مصر يعرف أطباء المناطق الحارة أن والعائدون من دول الشام أو أية دولة ..الليشمانيا ظهرت مرارًا ...تملك ثروة رعوية يحملون معهم داء الحويصلات المائية

عندئذ يتذكر الزملاء في الأقسام الأخرى مكان قسمنا ويأتون لنا.. عندي حالة متصلبة العنق في عنبر الجراحة.. هل هذا التهاب سحائي؟.. ماذا يجب أن أفعله بعد كل الرذاذ الذي نثره المريض في وجهي وهو يسعل؟.. الإبرة اخترقت إصبعي فهل أتعاطى شيئًا لمنع التهاب الكبد الفيروسي؟... إنزيمات الكبد أنا مسافر إلى نيجيريا في مهمة ..عالية فكيف أعرف السبب؟ علمية فكيف أقي نفسي من الملاريا؟

بعض الأسئلة يكون صعبًا يجعلك مضطرًا للرجوع لكتبك، لكنك ...على الأقل تعرف جيدًا أين تجد المعلومة
..وماذا عن الإيدز؟.. أهم عنوان في كتب طب المناطق الحارة المرض الذي اكتشفوا حالاته أولاً في سان فرانسسكو بين

أوساط الشباب المنحل، وقيل إنه ولد في إفريقيا، لكنه اجتاح العالم بعدها.. واليوم عرف أثرياء العالم كيف يقاومونه ويتقونه، لكنه مشكلة المشاكل في إفريقيا البائسة الفقيرة.. لسوف يظل هذا الداء مشكلة طب المناطق الحارة لعقود قادمة..

بالنسبة لمصر يوشك طب المناطق الحارة أن يتلخص في مرضي البلهارسيا والتهاب الكبد الفيروسي.. ليس الدرن خارج نطاق عملنا.. ليست الحميات كلها.. وهذا هو ما يكتبه طبيب المناطق الحارة على عيادته غالبًا (مختص أمراض الكبد والحميات)...

فيما بعد استقلت الأقطار التي كانت تقع تحت سيطرة (جون بول)، لكنها لم تستغن عن طب المناطق الحارة، واليوم تقوم منظمة الصحة العالمية بالدور الذي كان المستعمرون يقومون به في الماضي..

لاحظ الأطباء حديثًا أن طب المناطق الحارة لا يرتبط بحرارة الجو، فكل بلد له مشاكله الصحية الخاصة لهذا فكروا في استخدام اسم جديد هو (الطب الجغرافي).. ترى هل يمكنك أن تزور عيادة طبيب يعلن أنه مختص في (الطب الجغرافي)؟..



أحببت هذا العلم كثيرًا وانبهرت به، ولا شك أن من قرءوا

أردت أن أنقل لك .سلسلة سافاري يدركون جيدًا هذه النقطة

هذا الحب فقررت أن أعرض عليك كتابًا ممتعًا ينقل لك الصورة

بشكل أفضل.. هل أعرض عليك كتاب (صائدو الميكروبات)؟..

طب المناطق الحارة) الذي كتبه)أم أعرض عليك كتاب

(جوردون كوك) والذي أهدى لي صديقي الطبيب الشاب نسخة

رقمية منه؟... أعتقد أنني أفضل الكتاب الأخير.. لن أترجم

الكتاب لكني سألخصه لك في عرض سريع على عدة مقالات،

ولكني كنت في أمس الحاجة أولاً إلى هذا المقال الذي يشرح

..سبب اهتمامي به

عن طب المناطق الحارة .. الحلقة الثانية

لاحظ كاتب الخيال العلمي (مايكل كرايتون) ملاحظة مهمة هي

أن علم الأحياء متأخر جدًا عن باقي العلوم، وبينما كان الإنسان

يعرف الكثير من أسرار الكيمياء والفيزياء فإنه كان يجهل الكثير عن جسده وعن طريقة انتقال الأمراض.. إلخ..

اليوم أنت تعرف أشياء كثيرة جدًا كان كثيرون من الأطباء الأوائل يقبلون التضحية بذراعهم كي يعرفوها. فكرة أن تنقل ذبابة المرض أو أن تلدغك بعوضة فتحقن الملاريا في دمك.. هذه أشياء تبدو لنا بديهية، لكنها كانت ألغازًا مطبقة في القرن الثامن عشر، وكان على الطب أن ينتظر كثيرًا جدًا حتى يصل (باتريك مانسون) وآخرون.

حتى لفظة (حمى) كان لها مدلول آخر لدى الأطباء يختلف عن أي ارتفاع في درجة الحرارة). وما زال)مدلول اليوم الذي يعني بوسعك اليوم أن تجد أن قليلي التعليم يعتقدون أن الحمى هي التيفود فقط.

كان من الطبيعي أن يتأخر طب المناطق الحارة كثيرًا جدًا في الميلاد. من ضمن شتى فروع العلم يمكننا القول إن هذا (علم استعماري) أملته ظروف الإمبراطورية، وقد أفاد المستعمر أولاً لكنه أفاد أهالي البلاد بشكل غير مباشر، وفي النهاية ترحل المدافع ويموت الجنرالات لكن العلم يبقى خالدًا.

كانت بريطانيا قد أرسلت أبناء ها ليحتلوا العالم وينتشروا في رقعة واسعة تمتد عبر أحراش إفريقيا وجبال الهند وجزر الكاريبي.. هكذا شعر الجميع بأن هناك مشكلة ما.. الأمراض التي تصيب الجنود غريبة جدًا.. أمراض تجعلهم ينامون للأبد، وأمراض تجعل بطونهم تنتفخ، وأمراض تجعلهم يقيئون دمًا، أو يدخلون في غيبوبة مبهمة، أو يصابون بالعمى..

بعض الأمراض كان معروفًا في أوطانهم طبعًا (مثل التيفوس والدرن والسعار) لكن بصورة أقل من هذه الصورة المفزعة التي يرونها في المستعمرات. بعض الأمراض حملها المستعمر هدية لأهل البلاد التي يجهلون عنها كل شيء مثل الزهري، ومقابله حصلوا على مرض يشبهه جدًا اسمه (الياوز yaws).

لهذا وجدت بريطانيا الفيكتورية أن عليها أن ترسل أطباء ها لفهم ما يحدث، ولهذا سوف نكتشف في طب المناطق الحارة شخصية غريبة محورية هي شخصية الطبيب العسكري.. الطبيب العسكري الذي يعمل مع البحرية موجود بقوة هنا، منذ نشأ هذا العلم وحتى عرفت مصر وحدة النمرو (وحدة الأبحاث الطبية للبحرية الأمريكية) بمن فيها من أطباء لا يحملون لقب طبيب ولكن لقب (كابتن).

منذ بداية الكتاب يعتذر مؤلفه لأنه لن يذكر أية امرأة لسبب بسيط هو أنه لا توجد امرأة لعبت دورًا في طب المناطق الحارة، كما أنه لن يذكر اسمًا غير بريطاني إلا فيما ندر لسبب بسيط آخر هو أن طب المناطق الحارة علم بريطاني المنشأ، والسبب معروف طبعًا.



سير باتريك مانسون



ديفيد ليفنجستون

هناك نماذج في كتب الطب القديمة لوصف الأمراض التي اصطلح على أنها أمراض مناطق حارة.. مثلاً هناك دودة Dracunculus medinensis التي تخترق أنسجة الساق ويظهر طرف ذيلها عند الكاحل. تجدها في كتابات (ابن سينا) باسم (وريد المدينة). ويصف طبيب عربي طريقة العلاج قائلاً: "يربط المريض طرف الوريد أو العصب (لم يكونوا متأكدين من كونها دودة أم وريدًا) على قطعة من الخشب، ثم يلف قطعة الخشب شيئًا فشيئًا حتى يخرج الدودة كلها. يحتاج العلاج لعدة أيام قبل لأن يشفى المريض من الألم"، وهو لا يختلف كثيرًا عن علاج

اليوم.

وقد نصح أحد الأساقفة في بيروت الناس بألا يشربوا إلا الخمر ويبتعدوا عن شرب الماء الملوث كي يتفادوا هذه الدودة!.. أما إذا أصررت على شرب الماء فلتصفّه أولاً بقطعة قماش.
وصف الأقدمون كذلك استعمال ثمرة الجوز المقيء لعلاج الدوسنتاريا (الزحار) وكانت النتائج لا بأس بها.. لهذا قام البريطانيون بتكرار التجربة بنجاح، ومن هذه الثمرة استخلصوا مادة (الإيميتين) التي كانت أول علاج للدوسنتاريا الأميبية.
وكما قلنا من قبل كان الاعتقاد هو أن الحمى ليست عرضًا بل هي مرض واحد ناجم عن الهواء الملوث. حتى إن أحد التقارير الطبية يؤكد: "المرض الذي يجتاح الهند حاليا ليس كوليرا بل هو حمى!". احتاج الأمر لفترة طويلة جدًا حتى يقتنع الأطباء بأن الحمى ليست مرضًا في حد ذاتها، بل هي "طريقة الطبيعة في إبداء ضيقها!".

إن القرن السابع عشر هو القرن الذي أدرك فيه الأطباء أن القذارة تنقل المرض، حتى قبل أن يسمعوا عن البكتريا والفيروس. وقد لاحظ أطباء كثيرون أن الدوسنتاريا والكوليرا تأتي من الفضلات البشرية التي تلوث الطعام، وكان الجنود

يعرفون أن القمل وقلة النظافة يسببان التيفوس.

في كتابات الرحالة البريطاني الكبير (ليفنجستون) تجد أنه يربط ما بين المستنقعات والملاريا (كان اسمها هو الميازما في ذلك الوقت)، لكنه لا يتوقف عند هذه الفكرة كثيرًا، كما لاحظ معظم أطباء الجيش أن المستنقعات خطرة، لكنهم ظلوا يعتقدون أن المرض ينجم عن العفن والنباتات المتحللة. واسم (الملاريا) ذاته معناه (الهواء الفاسد). برغم هذا ظلوا حائرين: لماذا توجد ملاريا بلا مستنقعات، وتوجد مستنقعات بلا ملاريا؟. ولمدة قرنين اعتقد الجميع أن الملاريا تنتقل بالهواء أو الماء الفاسدين.

إن قصة استخدام لحاء الشجرة (البيروفي) في علاج الملاريا ترجع لعام ١٩٣٠ .. نحن نعرف اليوم أن هذا اللحاء يحتوي مادة الكينين التي تعالج الملاريا، والقصة الشهيرة على كل حال تتحدث عن زوجة حاكم (بيرو) الليدي (سينكون) التي أصيبت بالملاريا، فعرض أحد السحرة الهنود علاجها عن طريق نقيع يسقيه لها من لحاء إحدى الأشجار.. بعد أيام شفيت تمامًا فأصرت على أن تأخذ معها هذا اللحاء إلى أوروبا، وأطلق الأطباء

على الشجرة اسم (سينكونا) وهي الشجرة التي ما زالوا يستخرجون الكينين منها.

البعض يرى أن هذه القصة خيالية تمامًا ويميلون للاعتقاد بأن المبشرين الإسبان هم من نقل هذا اللحاء لأوروبا ولذا أطلق على المسحوق اسم (مسحوق الجزويت). أي أن علاج المرض بدأ قبل أن يعرف سببه. وحتى الحرب العالمية الثانية لم يكن للمرض علاج سوى الكينين إلى أن احتل اليابانيون جزر إندونيسيا التي كان العالم يحصل منها على هذا العقار المهم، لذا بدأت الحاجة لتصنيع علاج جديد للملاريا.. ومن هنا ولد (المبياكرين).

كان طب المناطق الحارة يشهد أعوامه الأولى، لكن كان عليه أن ينتظر قدوم أهم أعلامه وأول من كتب مرجعًا كاملاً عنه: (الطبيب البريطاني (باتريك مانسون.....

(عن طب المناطق الحارة (٣

هذا يعني أنك صبور وسوف ..جميل ..هل ما زلت معنا؟

..تتحملني حتى النهاية

كنا في عصر بدأ يعرف الكثير عن انتقال الأمراض وإن ظلت الصورة العامة غامضة جدًا.. روبرت كوخ الألماني وباستير الفرنسي يسددان الضربات لكل مسلمات العلم السابقة.



مانسون

الحرب العظمى بين البلدين دارت في المختبرات وليس في ساحة القتال. سوف ندرك لو درسنا حياتي الرجلين أن كوخ كان عالمًا صارمًا قاسيًا على نفسه والآخرين ولم يكن يقبل أنصاف الحلول، بينما كان باستير أقرب إلى الخفة والاستعجال في النتائج والولع بالإعلام.. والنتيجة هي أن العامة جميعًا يعرفون باستير، بينما العلماء حقًا يعرفون أهمية كوخ.

كانت نظرية (الميازما) هي السائدة، وتقضي بأن الحياة تولد تلقائيًا من الأجسام المتعفنة.. لكن العالم عرف اليوم الجراثيم وعرف كيف يقاومها، وتعلم الجراحون كيف يغسلون أيديهم جيدًا بعد ما كانوا لا يغسلون أيديهم إلا بعد الجراحة، وفي بإجراء جراحات معقدة (بريطانيا قام سيد الجراحين (لستر للمرة الأولى باستعمال حمض الكربوليك.. كان متحمسًا لدرجة غمس يديه في مطاط سائل ساخن ليصنع أول قفاز جراحي في التاريخ، وملأ غرف العمليات ببخار الكربوليك كذلك، لكن هذا أحرق عيون الجراحين تقريبًا..

برغم هذا كانت النتائج واضحة: المرضى الذين تجرى لهم الجراحة في ظروف معقمة ينجون، بينما كانت لفظة جراحة تعني الموت قبل ذلك..

عام ١٨٤٤ ولد (باتريك مانسون).. تذكر هذا الاسم جيدًا.. أنت عام .تردده منذ درست اسم (بلهارسيا مانسوني) في المدرسة ١٨٦٠ التحق بجامعة (أبيردين) وتخرج طبيبًا في التاسعة عشرة عام ١٨٦٦ نال درجة الدكتوراة.. ثم التحق بالجيش .من العمر وسافر إلى فرموزا.. وقد وصف أمراض - طبيبًا عسكريًا – كالعادة سوء الامتصاص الاستوائية وكيفية تصفية خراج الكبد الأميبي.. جولة مثيرة جدًا قام بها عبر الصين وكوريا وهونج



كونج. وكان موعده الأهم مع داء الفيل الوبيل الذي يحول القدمين والخصية إلى جذع شجرة يتضخم يومًا بعد يوم.



لستر رائد الجراحة الحديثة

رأى الكثير جدًا من حالات مرض الفيل.. وعرف بالدودة الصغيرة الدقيقة التي وصفها (بانكروفت) في خصية المرضى.. هذه الدودة التي أطلقوا عليها اسم (فوتشريريا بانكروفتي). لكن اللغز ما زال مطبقًا.. كيف وصلت هذه الدودة إلى دم المرضى؟.. لاحظ أن مخلوقًا على الأرض لم يتصور وقتها أن الحشرات يمكن أن تنقل أي مرض.. كان مانسون يعرف أن خادمه (هين لو) مصاب بالداء الوبيل، لذا قرر أن يجري تجربة عليه.. التجربة كانت في ١٠ أغسطس عام 1877 وهو التاريخ الذي يعتبرونه يوم ميلاد طب المناطق الحارة.. جعل الخادم ينام مع مجموعة من البعوض في قفص محكم، وفي الصباح قام بفتح القفص وجمع

البعوض وقام بتشريحه.. النتيجة المثيرة هي أن معدة البعوض مليئة بهذه الديدان الصغيرة..



دونالد روس

إذن الحشرات قادرة على نقل المرض من إنسان لآخر!... هذه الحقيقة هي التي ستفتح فيما بعد الباب لفهم الملاريا والحمى الصفراء..

في سن ٤٦ يعود مانسون للندن وقد كون ثروة صغيرة من عمله في الشرق. وبدأ يبشر بالعلم الجديد (طب المناطق الحارة). كانوا يعرفون أقل القليل عن كل شيء. لكنهم وصفوا الأمراض جيدًا وبدقة دون أن يعرفوا مسبباتها.. وفي العام ١٨٩٨ أصدر أول طبعة من كتابه الشهير.. الكتاب الذي استمرت طبعاته حتى اليوم (مع التحديث الدوري طبعًا)...

كان يتصرف ﴿برغم هذا كله يجب أن نتذكر أن (مانسون بمفهوم استعماري بحت يسمونه (الاستعمار الخلاق) والذي يحدد مهمة طب المناطق الحارة بعلاج رعايا الإمبراطورية.. أي أنه يريد عبيدًا أصحاء لينتجوا أكثر، وهي سياسة راقت لوزير المستعمرات البريطاني كثيرًا، من ثم أنشئت مدرسة لندن لطب المناطق الحارة.. حقًا لا يوجد في الحياة أبيض ولا أسود.. هناك الرمادي فقط.. الاستعمار الفرنسي جلب لنا المطبعة وكتاب وصف مصر، والبريطانيون استعمروا العالم، ونهبوا خيراته، لكنهم كذلك قضوا على الملاريا ومرض النوم..

توفي مانسون عام ١٩٢٢ بنوبة قلبية، لكن بعد أن أدلى بدلوه في أشياء كثيرة جدًا تبدأ بالدوسنتاريا مرورًا بالبلهارسيا ودودة المدينة وانتهاء بالحمى الراجعة وحمى مالطة. على أن أهم فصول حياته كان ذلك المتعلق باكتشاف الملاريا، ولسوف نعرف أنه لم يكن يعرف أي شيء عن البعوض لدرجة أنه كان يعتبر البعوض كله نوعًا واحدًا، وكان يخلط بينه وبين (الهاموش)﴾.

الملاريا: أهم الأمراض التي تنقلها الطفيليات وأخطرها..

السؤال الغامض الذي ظل يحير العلماء منذ عصر الرومان حتى

اليوم، بينما أي تلميذ في الابتدائي يعرف اليوم أنها تنتقل
..بلدغة البعوض.. ولربما ذكر لك اسم (أنوفيليس) لو كان ذكيًا
كان مانسون يعتقد أن الملاريا تعيش في المستنقعات وتنتقل
عندما تهب الريح على الماء، وهي نظرية (الميازما) التي سادت
لدى الأطباء عدة قرون. لم تهتز هذه النظرية كثيرًا عندما قام
لافيران) الفرنسي – رجل معهد باستير - بفحص كريات الدم)
الحمراء في مرضاه الجزائريين ورأى صبغيات الملاريا وآثار
، ولاحظ أن ظهور هذه (الطفيل المفترس في طور (الحلقة
ظل .الصبغيات المفزعة يسبق بالضبط الرجفة المميزة للملاريا
السؤال قائمًا: جميل جدًا.. هذه الأشياء تسبب الملاريا لكن
كيف وصلت لدم المريض؟.. حتى (لافيران) نفسه اعتقد أن
..الوباء ينتقل بشرب ماء المستنقعات

الإجابة عن السؤال كانت لدى طبيب بريطاني ولد في جبال
الهيملايا عام ١٨٥٧، واسمه (دونالد روس).. اختار القدر لهذه
المهمة أبعد شخص ممكن عن المخ المنظم المطلوب للبحث
العلمي.. كان خليطًا غريبًا من شاعر وطبيب.. شخصًا من الطراز
..الذي يفكر في مائة شيء في اليوم ولا يكمل شيئًا واحدًا

بالطبع كان (روس) ابن ضابط بريطاني في الهند – كالعادة -

تعلم في لندن.. قابل (مانسون) عام ١٨٨٩ بعد ما قدمهما لبعضهما صديق مشترك.. وهناك عرض عليه مانسون شرائح تظهر طفيل الملاريا في دم المرضى. كعادة هؤلاء الشعراء قرر (روس) أن القدر اختار له طريقه وأن عليه أن يكشف اللثام عن هذا اللغز، وكتب لزوجته قصيدة رديئة جدًا يقول فيها:

"اليوم وضع الرب في يدي شيئًا مدهشًا..

وبفضله كشفت النقاب عن جرائمك السرية أيها الموت الأكيد

يا قاتل الملايين..

هذا الاكتشاف الصغير

سينقذ ملايين البشر..

أين ذهبت لدغتك أيها الموت؟.. وأين ضحكتك أيها القبر؟"

هل يكلم الملاريا فعلًا أم يكلم زوجته؟.. لست حسن النية لهذا الحد..

هكذا تم اللقاء بين طبيب شاعر شبه مجنون وطبيب لا يعرف أي شيء عن البعوض.. وعلى يدي الرجلين كتب للملاريا أن تتلقى أعنف ضربة في تاريخها!..

عن طب المناطق الحارة (٤)



روس) إلى (كلكتا) بدأت المراسلات بينه وبين)عندما عاد مانسون المقيم في لندن. هنا يلعب مانسون دور (المخ) الذي العضلات).)يصدر التعليمات لـ (روس) الذي يلعب دور مانسون مقتنع تمامًا بأن البعوض يموت في الأنهار.. ويشرب الهنود هذا الماء فيصابون بالملاريا. النتيجة هي أن روس غلى مئات اللترات من البعوض ليسقي هذا الحساء البشع للمتطوعين الهنود المساكين.. بل إنه أطعمهم مربى صنعها من البعوض.. والنتيجة: لا أحد يصاب بالملاريا.

كان روس يمقت العلم ولا يستطيع التركيز في شيء، وكان من يستطيعون يفعلون.. من لا " :يؤمن بمقولة برنارد شو يستطيعون يعلّمون!"، كان تشريح البعوض يقع على عاتق مساعده الهندي (محمد بوكس) الذي – كالعادة – لم ينل أي تقدير وخبا ذكره بمجرد وفاته. لكن روس في ليلة حارة مرهقة استطاع أن يجد الملاريا في الغدد اللعابية للبعوضة.. كان العرق

والرطوبة يخنقانه لدرجة الهلوسة، لهذا كتب يصف المشهد في مذكراته قائلاً:

"إنني صغير جدًا وسريع الحركة..!"

هكذا وصل إلى درجة أنه تقمص طفيل الملاريا نفسه. وكان معنى اكتشافه بوضوح تام أن البعوضة تنقل الوباء بلدغتها. هكذا عاد لإنجلترا وقد أنهى ما لديه من شحنة علمية، ولم يعد على استعداد إلا لأن ينعم بحياته والمعجبات ويصير ثريًا وينال جائزة نوبل، وبالطبع أنكر في كل كتاباته أي دور لمانسون في مساعدته على ما عرفه. الواقع أن القدر قدم هدية اكتشاف طريقة انتقال الملاريا لأقل العلماء جدارة بهذا اللقب: (دونالد روس).



جراسي

في إيطاليا كان السنيور (جراسي) يجري أبحاثًا مماثلة، وقد

استطاع أن يحدد البعوضة التي تنقل الملاريا بدقة شديدة...

كان الفلاحون الإيطاليون يطلقون عليها اسم (تزانزاروني) وهي الأنوفيليس التي نعرفها اليوم، وكان معنى أن تمشي ليلاً في شوارع إيطاليا في الصيف بالذات أنك زهدت الحياة وترغب في الانتحار. لايزال الجدل قائمًا بين بريطانيا وإيطاليا حول مكتشف دورة حياة الملاريا الكامل، والحقيقة أنه جهد متكامل ومتساو بين طرفين، وكلاهما أكمل عمل الآخر.

****

الآن ننتقل إلى العالم الجديد.. إلى الأمريكتين حيث وباء آخر حير العالم طويلاً.. إنه وباء الحمى الصفراء. وهو وباء إفريقي كذلك، والحقيقة أنه هو الذي أباد بحارة سفينة (الهولندي الطائر) التي يجوب شبحها أعالي البحار عند رأس الرجاء الصالح حتى اليوم.

ولفهم أهمية هذا الوباء تذكر أن الفرنسي (دي لسبس) حاول أن يحفر قناة بنما كما فعل في قناة السويس لكنه فشل بسبب موت العمال بلا توقف.

هذا الوباء يصيب المريض بصفراء شديدة مع نزف من معظم فتحات الجسم، وغالبًا ما يلقى المريض حتفه في اليوم السابع.. غالبًا ما يشخص المريض باعتباره التهاب كبد فيروسيًا في

البداية قبل أن يكتشف الطبيب أنه كان أحمق.



والتر ريد

الآن صارت لدينا حقيقة مهمة هي أن البعوض خطر.. هذه الحقيقة مهدها لنا مانسون.. فهل للبعوض دور في هذا الوباء الشنيع؟

- من جديد هذه مشكلة استعمارية أخرى تهدد – هذه المرة الجنود الأمريكيين وتمنعهم من احتلال كوبا كما يجب. هكذا اضطرت الحكومة الأمريكية عام ١٩٠٠ إلى أن تؤمن بأهمية طب المناطق الحارة وتشكل فريقًا بحثيًا يرأسه طبيب الجيش (والتر ريد). أنت تعرف الاسم لو كنت سمعت من قبل عن مستشفى (والتر ريد) الأمريكي الشهير. هذه قصة تثير القشعريرة عن الشجاعة البشرية.. تذكر أننا نتكلم عن وباء مجهول.. وباء قاتل ولا علاج له.

برغم هذا يعمل هؤلاء الرجال في منطقة موبوءة بالكامل..
ويصاب كثيرون منهم ويموتون. هنا يقرر ريد اختبار نظرية أن الوباء ينتقل بلدغة البعوض.. يصمم كوخين (أ) و(ب).. الكوخ الأول نظيف جدًا لكن البعوض يدخله. الكوخ الثاني جعله جحيمًا.. ملاءات من ماتوا بالحمى الصفراء.. وسائد ملوثة بدمهم وقيئهم.. أدوات طعامهم.. هواء مليء بالغبار المكنوس من غرف موتهم.. فقط للكوخ مزية واحدة هي أنه معزول فلا يقدر البعوض على دخوله. وضع ثلاثة جنود في كل كوخ وانتظر عشرة أيام.. بعد عشرة أيام فتح الكوخين.. الكوخ النظيف ذو البعوض كل جنوده مرضى يحتضرون.. الكوخ القذر بلا بعوض كل جنوده أصحاء وإن كان الاشمئزاز كاد يقتلهم!...

النتيجة واضحة لكن والتر ريد يصمم على أن يجعل البعوض يلدغه ليرى. بالفعل أصيب بالحمى الصفراء ويا له من نجاح ساحق!!... لقد شفي بمعجزة ما ليعلن للحكومة الأمريكية أن القضاء على البعوض والوقاية منه هما الأساس.. والبعوضة المتهمة تختلف عن الأنوفيليس التي تنقل الملاريا.. إنها بعوضة اسمها (إيدز إيجبتي).. أي أنها مصرية!.. وهي تلك البعوضة التي تملأ بيوتنا على فكرة!. في ١٩١٤ عام بنما قناة حفر تم بالطبع أمان بعد ما عرف الجنود أن عليهم أن يقوا أنفسهم من لدغات

البعوض.

****



ديفيد بروس

الآن يبدأ دور اسم مهم جدًا في طب المناطق الحارة، هو طبيب ديفيد بروس). هل لك جار شرب لبنًا لم)الجيش البريطاني يُغل جيدًا، أو قريب طبيب بيطري تعرض لأبقار مريضة في السلطانة، وأصيب بمرض البروسللا؟.. الآن أنت تعرف من أين جاء الاسم.

لقد اختار القدر لهذا الرجل أن يغير وجه إفريقيا بالكامل... البريطاني الذي ولد في أستراليا والطبيب البارع والرسام الموهوب والملاكم الممتاز!

يهبط في جزيرة (مالطة) حيث قابل زوجته التي رافقته 1884عام كان الجنود البريطانيون يقضون وقتهم في .في كل مغامراته

حمى ترفع حرارتك وتغرقك ..المرض بالحمى المالطية الغامضة بالعرق وتجعل عظامك تتألم كأنما داس عليها كينج كونج. دعك من الصداع كذلك.. هناك وفيات لا بأس بها. قام بروس بتشريح جثث الموتى فوجد بكتيريا غريبة لم يرها من قبل في الطحال.. حقن بها القردة فأصيبت بمرض غريب وماتت بعد ١٩ يومًا. وسرعان ما تبين له أن معظم الماعز على الجزيرة تفرز هذه البكتيريا في البول واللبن. وصدر الأمر للقوات البريطانية باستبعاد لبن الماعز من أية وجبة للجنود.

هكذا اكتشف هذا الداء (على الماشي) والذي مازال يحمل اسمه حتى اليوم. وسرعان ما كان ينطلق إلى جنوب إفريقيا.. إلى الناتال..

هناك كان موعده مع الاكتشاف الذي سيخلده للأبد في تاريخ الطب.. المرض الذي تنقله ذبابة تسي تسي.. الناجانا.. داء النوم..

(عن طب المناطق الحارة (٥

ان الحديث عن مرض النوم يعني الحديث عن ذبابة تسي تسي ..
عن الناجانا .. عن ديفيد بروس .. عن طفيل التريبانوسوما .. و
.. يستحيل الحديث باختصار او بحياد لانه موضوع ممض طويل

ان مرض النوم واحد من الكوابيس التي اختارت القارة السوداء
البريئة لتعيش فيها ، هذا قدر الافارقة .. مساحات شاسعة من
بلادهم بسط عليها عمى الانهار سيطرته ، و مساحات شاسعة
البلهارسيا تعلن هيمنتها على .. غرس فيها مرض النوم عصاه
.. (وادي النيل .. و بقاع هائلة تقتلها الملاريا و ال (كالا ازار

.. لكني سأتحدث هنا عن مرض النوم بالذات
في البداية كان الافارقة يجهلون سببه ، و كذا كانت الارساليات
و الحملات الاستعمارية .. ان المريض تعس الحظ يدنو من الانهار
في الكونغو او جامبيا او اوغندا .. و بعد بضعة أيام يعاني من
الصداع و الحمى و تتورم بعض الغدد الليمفاوية في عنقه ، ثم
النهاية البطيئة جدا التي قد تقضي عامين .. يبدأ مسيرة النهاية
.. حتى تكتمل الصورة الكابوسية

ان وجه المريض يتخذ صورة غبية حزينة غير معبرة .. سلوكه
الاجتماعي يتدهور باستمرار و يصير عصبيا سخيفا احمق ، و لو
لم يضع الأطباء مرض النوم في حسبانهم – في
المناطق الموبوءة – فمن الوارد ان ينتهي المريض في مستشفى

.. الامراض العقلية

لكن المعاناة لم تنته بعد .. ان كل هذا يعد ضربا من المزاح بالنسبة الى مرحلة تدهور الجهاز العصبي .. تبدأ الرجفة .. يبدأ النوم في كل لحظة و كل حين .. ان النوم في اثناء الاكل يعتبر من علامات التشخيص الجيدة ، و كثيرون من هؤلاء يموتون .. جوعا ما لم يعتن الأهل باطعامهم قسراً

الآن تبدأ مرحلة الغيبوبة النهائية . .النوم النهائي الأبدي الذي .. يتصل بالموت في موضع ما

و لقد استطاع العلماء ان يميزوا ضربين من داء النوم : النوع السائد في جامبيا و هو ما وصفناه بالضبط .. و النوع السائد في روديسيا و هو أقل اعتيادا على الجهاز العصبي للانسان .. لهذا يهاجم القلب بشراسة أكثر و قسوة اكثر .. ان المريض به اكثر حظا لأنه يموت بهبوط القلب قبل ان يمر بذلك التدهور القاسي .. في وعيه و ذكائه

كان هذا الداء الوبيل يفرض سيطرته على افريقيا .. جاعلا مساحات هائلة من ارضها الخصبة ارض (لا انسان) كما يقولون .. كان رجال القبائل يموتون ، و المبشرون يموتون ، و جنرالات و ما كان احد يعرف كنه ما يحدث ..القوات الاستعمارية يموتون

..

.. حتى جاء ديفيد بروس

****

! يا له من رجل ديفيد بروس

بروس جراح الجيش البريطاني العصبي المتمرد ، الذي يرفض

.. الالتزام بالنظام ، و يستجلب غضب رؤسائه

بروس الذي لم يحاول ان يخلق مسافه بينه و بين رجال القبائل

.. ، مما اثار حنق ذوي العقلية الاستعمارية

كان بروس لا يبالي بالحرب .. كل ما يعنيه هو رغبته في مطاردة الميكروبات عبر احراش افريقيا ، و في البداية ارسله الجيش مع زوجته عام ١٨٩٤ الى (مالطة) ، كي يدرس تلك الحمى العجيبة التي تهشم عظام الجنود هناك و تبلل أسرتهم بالعرق ليلا .. لم يستغرق وقتا طويلا حتى يجد الباكتيريا المسببة لحمى مالطة و كانت نصيحته لقادة الجيش : لا تعيشوا مع الماعز و الابقار في مكان واحد .. اغلوا اللبن جيدا قبل شربه مع تهشمي قشرته في اثناء الغليان ، و فيما بعد خلدوا اسمه بأن اطلقوا على

(الباكتيريا التي اكتشفها اسم (بروسللا

كانت هذه محطة ترانزيت توقف عندها في طريقه الى الناتال في

افريقيا .. ثم انطلق الى أرض الزولو ليستقر مع زوجته في ابومو
..

كان هناك مرض عجيب اسمه ناجانا – معناها المكتئب بلغة الزولو – يصيب الخيول ، و كان الجواد التعس يصاب باكتئاب شديد ثم يكف بصره و يموت .. لقد جعلت الناجانا اكثر اراضي الزولو مناطق محرمة على الجنود ..

اجرى بروس تجاربه على الخيول ، و استنزف كثيرا من دمها في اثناء المرض ليفحصه تحت المجهر مع زوجته الباسلة .. اخيرا استطاع ان يرى الطفيل اللعين يسبح – كشيطان – بوساطة غشاء رقيق، و حركته تختلف عن حركة الباكتيريا الحمقاء الخرقاء ..كانت حركة وغد يعرف جيدا ما يفعله ، و اين يوجه ضربته التالية .. يلتف حول كرة الدم في رشاقة ثم يتراجع و يضربها ضربة موفقة بارعة .. و يكرر ذلك مرارا ثم يواصل رحلته ..
-" لقد وجدت التريبانوسوما ! هذا هو ما يسبب مرض الناجانا !
"

و في الحيوانات المحتضرة كان يشعر ان دمها ليس كرات حمراء تحوي تريبانوسوما ، بل العكس ! و لكم اقشعر جلده من مشهد كهذا ..

عن الطريقة التي و بدأ بروس البحث



ينتقل بها الطفيل من حيوان لآخر .. كان الوطنيون يتحدثون عن ذبابة اسمها تسي تسي ، و قد قرر أن يصدقهم، و قام بتشريح الذبابة ليجد الطفيل بداخلها ..

"- ان ذبابة تسي تسي هي ما ينقل الناجانا .. تخلصوا من الذبابة لتنجو من الوباء .. "

و قد كان ..

و هكذا حين بدأت اوغندا تعاني من ازدياد مروع في حالات مرض النوم ، لم يجد رجال الجيش الا الطبيب المشاكس كي يدعوه لمعرفة سبب هذا المرض ..و انتقل (بروس) مع زوجته الى اوغندا .. و كان معه طبيب شاب يدعى نابارو و مهندس يدعى جبسون يجيد كل شيء من انشاء الجسور الى اصلاح اجهزة المجهر ..

في دم المرضى وجد بروس الطفيل ذاته .. تريبانوسوما .. لقد كان سبب الناجانا في الناتال و هو هنا يسبب مرض النوم .. وجده في دم المرضى و في السائل النخاعي الشوكي الذي استخلصه من ظهورهم ..

"- اذن لابد من القضاء على ذبابة تسي تسي في اوغندا "

قال له الحاكم الاوغندي الاسطوري ابوللو كاجوا :

"- كل هذا جميل .. المشكلة انه لا توجد تسي تسي في اوغندا ! "



اذن هناك خطأ ما .. لابد من تسي تسي .. و لكن أين ؟
كانت هناك ذبابة تعيش في اوغندا جوار الانهار حيث ظل الاشجار ، و حيث ترتفع الرطوبة ، و كان الوطنيون يدعونها (كيفو) .. و الواقع ان كيفو في اوغندا هي نفسها تسي تسي في الناتال .. و لقد بدأ بروس مشورعا ضخما بالاتفاق مع الحاكم ابوللو كاجوا .. علّق خارطة اوغندا على الحائط ، و راح يتلقى المراسلات من كل جهات البلاد .. مراسلات تتعلق بحالات مرض النوم الجديدة ، و مراسلات تتعلق بالعثور على ذبابة كيفو هذه ..

كلما وصله خبر عن حالة جديدة كان يغرس دبوسا اسود على الخارطة ، و كلما وجد الاهالي ذبابة كيفو غرس دبوسا احمر .. هكذا صارت الخارطة تحدد بوضوح ان الدبابيس السوداء و الحمراء لها توزيع واحد ..

و في الوقت ذاته كان يتلقى بالبريد عينات من الذباب من كل مكان في اوغندا ، فكان يشرّحها و يفحصها بعناية .. الحق انه كان عملا جبارا لا تقدر عليه سوى منظمة دولية في عالم اليوم ، و الاهم ان المواطنين السود تعاونوا معه بنظام و دقة و تحضر يستحيل ان نجدهما لدى مجتمع من البيض ، و لعل جزءاً كبيرا

..من هذا يعود الى ادراكهم لخطورة المرض و حزم الحاكم ابوللو

و في النهاية و بعد جهد مضن وقف بروس امام القواد
: البريطانيين و حكام البلاد السود و قال
ان ذبابة تسي تسي او (كيفو) هي المسؤولة عن نقل الوباء "-
في البلاد .. يجب ابعاد الأهالي عن مناطق الانهار .. يجب تحريم
يجب قطع الاشجار على مسافة عشرين مترا على جانبي .. الصيد
الانهار ، كي تفقد الذبابة الظل الذي تحتاج اليه للتكاثر ، و بعد
عام عندما يكون المصابون بالمرض قد ماتوا يمكن العودة
للانهار ثانية.. سيكون مرض النوم قد انتهى و لن تنقل الذبابة
" .. شيئاً

و بدأ تنفيذ الخطة بحماس شديد ، و بالفعل – بعد عامين – بدا
.. ان المرض قد تلقى ضربات موجعة حاسمة .. و بدأ ينحسر
فجأة بدأت التقارير تتوالى عن ظهور الوباء من جديد .. لم يفهم
انها الطبيعة الخبيثة المراوغة تلعب العابها غير ..بروس شيئاً
.. حمل عتاده و عاد الى اوغندا ثانية .. المفهومة من جديد

توجد صورة فوتوغرافية نادرة تظهره جالسا على الأرض ، وسط
دائرة من الوطنيين الاوغنديين عراة الجذع .. ثمة دائرة تحيط
بدائرة .. و على كل وطني يجذ الذبابة على ظهر الجالس امامه ان
يقتلها ، ثم تنتقل الذبابة الى بروس الجالس في المركز ليجز



عنقها و يضعها على شريحة .. لقد لدغه الذباب كثيرا لكنه لم يصب بشيء ، و هو شيء لم يفهمه قط ..

و في النهاية عرف بروس قصة الوباء كاملة .. المرض يبدأ بالانسان المريض الذي تلدغه الذبابة .. الذبابة تطير و تلدغ انسانا سليما ليصاب بالمرض . لكن الذبابة كذلك قد تلدغ وعلا و من ثم يصاب الوعل بالمرض و يلعب دور المستودع .. الاحتياطي للعدوى .

و هكذا قد يتوارى الوباء عدة اعوام ، و يموت المرضى ، و لا تظهر حالات جديدة .. ثم فجأة .. هوب ! ينقل الذباب العدوى من المستودع – الوعل – الى البشر من جديد ..
و هكذا تظل سياسة برس في مكافحة الداء فعالة ، لكنها تحتاج كما نرى الى ابادة الذباب ، و ربما الوعول كذلك ..
حقا لقد كان ديفيد بروس رجلا من طراز نادر ..

=====================

د. احمد خالد توفيق

عن طب المناطق الحارة (٩)



الآن يأتي دور سير (نيل فيرلي)، الذي ولد عام ١٨٩١ في أستراليا، ثم تعلم الطب وسافر إلى مصر مع الفيلق الأسترالي. إنه ظاهرة فريدة في عالم الطب وعالم النحس؛ لأنه كان يصاب بكل مرض يدرسه تقريبًا. في مصر أصيب بالبلهارسيا ودرسها بعناية في آن واحد.. وابتكر طريقة تشخيصها عن طريق فحص الدم.

عرف الكثير جدًا عن مناعة المرض، ثم ارتحل إلى بومباي ليصير أستاذًا لطب المناطق الحارة، وكتب الكثير من البحوث عن داء الحويصلات المائية وتشخيصه .

أصيب بداء سوء الامتصاص الاستوائي وكتب عنه. كما وضع قواعد الوقاية الدوائية من الملاريا .

إن قائمة أبحاثه لا تنتهي سواء في مجال عضات الثعابين، مرورًا بالفيلاريا ودودة المدينة والدوسنتاريا الأميبية. كما أنه تولى عدة مناصب مهمة في الطب الوقائي.

يرسين والطاعون..



الوباء الذي قضى على أمم وجيوش بأكملها.. الوباء الذي يعرف كل تلميذ أنه أباد نصف جيش بونابرت أثناء حصار عكا. كان ينتظر نهايته عام 1894على يد (ألكسندر يرسين) تلميذ باستير الذي كان يعمل في هونج كونج.

كانت الهجمة الأعنف للطاعون في عام ١٣٤٨ حيث بدأ من القرم، وراح يرمح عبر أوروبا حتى بلغ إنجلترا. ثم جاء وباء عنيف آخر عام ١٦٦٥.. لم نكن نحن بعيدين تمامًا لأن الوباء ضرب مصر عام ١٨٣٤.. ثم استقر في البلدان الحارة ولم يهاجم أوروبا ثانية .

هذا المرض اللعين ينتقل بطريقة غامضة.. لكن القدامى لاحظوا أنه يبدأ عندما تمتلئ الطرقات بالفئران الميتة، بعدها قد يهاجم الرئتين أو يحدث خراجًا كبيرًا في خن الفخذ ويتسمم المريض ويموت ..

إنه يستحق لقب الموت الأسود فعلاً، وإن كان مؤرخون طبيون كثيرون يرون أن التيفوس قد يكون هو المسئول عن بعض هذه الأوبئة. إن التفرقة بين التيفوس والطاعون قد تكون صعبة بالنسبة لأطباء الماضي.

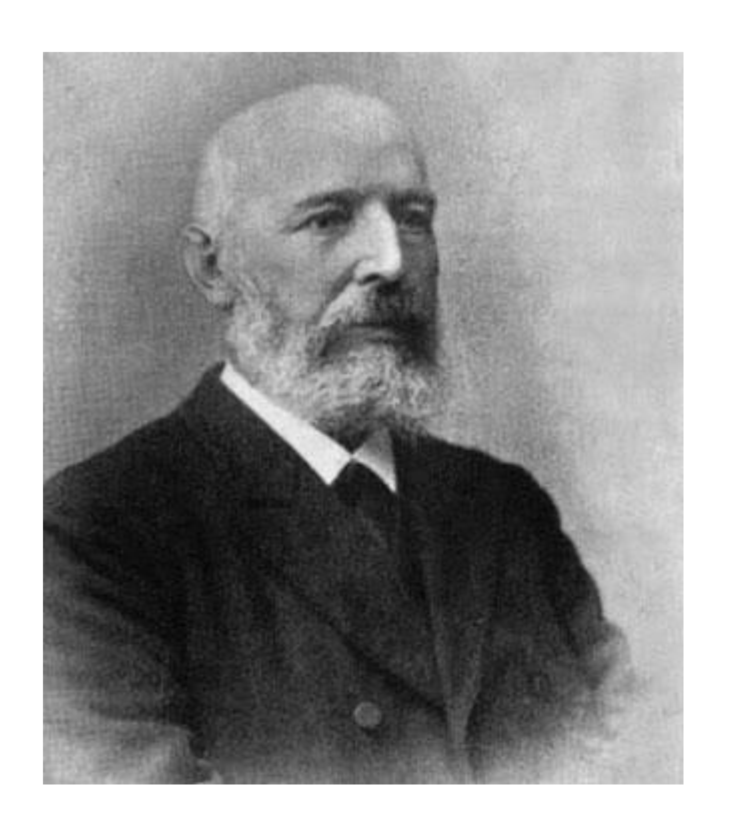
الطبيب الفرنسي (يرسين) جاء ليكشف الستار عن لغز هذا المرض.. يتعامل مع المرضى المصابين بوباء يقتل اثنين من كل ثلاثة يصيبهم ..الوباء الذي لا علاج له وقتها. اكتشف يرسين سبب هذا المرض، وإن اشترك معه في الاكتشاف (كيتاساتو) الياباني تلميذ كوخ.

قرر العالم تسمية البكتريا التي وجدها باسم (باستوريلا بستيس) – تكريما لأستاذه باستير – لكن العلم أصر على تسميتها (يرسينيا بستيس..(

إن انتقال المرض لا يتعلق بالفئران فقط، بل بالبراغيث التي تعيش في فرائها.. عندما يموت الفأر بالطاعون في النهاية، لا يجد البرغوث عائلاً إلا الإنسان.. هكذا ينتقل له ويلدغه فينقل له البكتريا. تذكر السفينة التي تحمل جثة دراكيولا في قصة برام ستوكر الشهيرة، والتي تبلغ الشط فتهبط منها الفئران لتملأ المدينة، وسرعان ما يبدأ وباء الطاعون. كل سفينة تسكنها فئران تحمل هذا الخطر الداهم .

بالإضافة إلى اكتشاف سبب المرض وكيفية انتقاله، ابتكر يرسين مصلاً فعالاً للوقاية منه..

هناك آخرون في مجال هذا العلم، ليسوا نجومًا متألقة مثل مانسون وبروس، لكنهم أضافوا الكثير بدورهم.. مثلاً (نوجوتشي) الياباني صاحب اليد اليسرى المشوهة المشلولة، والذي ارتقى في درجات العلم حتى صار رئيس قسم بحوث طب المناطق الحارة في معهد روكفلر.. المؤسسة الأمريكية التي كرست نفسها للطب. هذا الرجل كشف الكثير من أسرار مرض زهري الجهاز العصبي، وبكتريا البارتونللا، وشلل الأطفال، والكلب وحمى جبال روكي..



وماذا عن (هانسن) النرويجي العظيم الذي كشف للعالم لأول مرة عن البكتريا التي تسبب الجذام؟.. لقد فحص مئات العينات المأخوذة من إفرازات أنوف المرضى بهذا المرض القبيح، حتى وجد البكتريا العضوية المميزة التي لم يرها العالم من قبل .

وكان الأطباء قبل هذا يعتبرون الجذام مرضًا وراثيًا أو لعنة من السماء .الآن صار مرضًا تسببه بكتريا قريبة نوعًا من بكتريا الدرن وبالتالي صار له علاج..

المستقبل..

الآن صارت هناك مدارس لطب المناطق الحارة في كل مكان في العالم، لكن الكتاب يركز على المدرستين الرائدتين في لندن وليفربول. كما أنه يستبعد أقسام طب المناطق الحارة في الجامعات المختلفة، لأنه يهتم أكثر بالمدارس المخصصة بالكامل لهذا الغرض.

وهو يذكر بعض الأسماء المهمة كإداريين مثل سير (روبرت بويس (الذي كان أول عميد لمدرسة ليفربول. وسير (ديفيد ريس) مؤسس مدرسة لندن. على كل حال لن أتوغل في هذا الجزء من الكتاب لأنه يغرقك في تفاصيل الأسماء والتواريخ، فلن تخرج أبدًا.. دعك من أنه لا يعنينا كثيرًا.

لقد اعتقد العلماء أنهم حلوا كل المشاكل وعرفوا كل شيء ..لكن المرض كان يتأهب

بأسلحة جديدة.. ها نحن أولاء نعرف التهاب الكبد الفيروسي.. ثم بعد أعوام يظهر ذلك الفيروس الخطير المراوغ HIV الذي يجتاح إفريقيا وليس بعيدًا عن الدول العربية مهما قيل .

إن الإصابة به من أسهل ما يمكن والقصة تتكرر دومًا.. هذا الفتى يسافر إلى جنوب شرق آسيا ليعبث في هذا الماخور أو ذاك.. يعود لزوجته.. بعد أعوام تكتشف الزوجة أنها مصابة بالإيدز الرهيب وأنها أنجبت طفلاً مصابًا به .

مازال الإيدز مرضًا مكلفًا صعب العلاج جدًا، والوقاية منه أرخص وأسهل.. لهذا سوف يبقى الشغل الشاغل لطب المناطق الحارة لأعوام عديدة..

وماذا عن البلهارسيا التي تأبى أن تنقرض بعناد غريب؟.. متى يصل العلماء إلى مصل واق منها؟.. الملاريا تعلمت كيف تقاوم معظم الأدوية القديمة فماذا عن الأدوية الجديدة؟.. ماذا عن ابتكار لقاح لها؟

من جنوب شرق آسيا يظهر مرض جديد قضى على الطبيب الإيطالي)أورباني) الذي اكتشفه.. هذا المرض اسمه SARS ومن نفس البقعة يظهر مرض اسمه إنفلونزا الطيور ليهدد مصر بشدة.. هذا الفيروس ينتقل من الطيور للبشر فقط، لكن من الوارد أن يتعلم كيف ينتقل من إنسان لآخر.. عندها ستكون الكارثة ...

الدرن يستعيد قوته ويقاوم معظم الأدوية المعروفة وإصاباته صارت قاتلة. في الولايات المتحدة هناك أنواع بكتريا جديدة تكشف عن وجهها القبيح كل يوم. وهناك حشد من البكتريا الغامضة ظهر مع ظهور الإيدز ...

في الوقت نفسه انتهى الجدري تمامًا منذ عام ١٩٧٢ ويوشك شلل الأطفال على الانتهاء.. أنا لم أر حالة (بيري بيري) أو أسقربوط في حياتي، بينما كانت هذه أمراضًا شائعة قاتلة منذ مائتي عام.. من الصعب اليوم أن يموت أحد بسبب افتقاره إلى فيتاميني (ب) و(سي) بالترتيب ..

الحقيقة أن طب المناطق الحارة جاء ليبقى.. ولا ينسى مؤلف الكتاب أن يؤكد في رضا أنه لم يعد علمًا استعماريًا مخصصًا لخدمة الإمبراطورية، بل صار علمًا لكل البشر ومن أجل

رفاهيتهم...

شكرًا لصديقي الشاب د.(إسلام) الذي قدم لي هذا الكتاب الجميل لأعرضه هنا. ولسوف أعرض الكتاب الأجمل (صائدو الميكروبات) فيما بعد، بمجرد أن تنال آذانكم قسطًا من الراحة.

الأوبئة في ساحة الحرب .. بقلم د. أحمد خالد توفيق

٢٠١١

لعبت الأوبئة دورًا مهمًا في معظم الحروب التي عرفها التاريخ، ونخص بالذكر الطاعون والتيفوس اللذين قهرا جيوشًا جرارة، لكننا في هذا المقال نتحدث عن الأوبئة كسلاح يستعمله أحد الطرفين عمدًا.

لعل أقدم مثال معروف لحرب بيولوجية هي الحرب التي بدأت وباء الطاعون الأعظم عام ١٣٤١ م . لقد حاصر التتار ميناء كافا (واسمه اليوم فيودوسيا بأوكرانيا) ورموه بالمنجنيق، فلما نفدت مقذوفاتهم استعملوا جثث من ماتوا بالطاعون في صفوفهم !.. هكذا بدأ الوباء يزحف نحو العراق والأناضول ومصر وشمال أوروبا..

وحتى العام ١٧١٠ ظل هذا التقليد متبعًا كما حدث عندما هاجم الروس أعداءهم السويديين بقذف جثث موتى الطاعون فوق أسوار مدينة ريفال.

على أن الجيوش المحاصرة – بكسر الصاد – كانت عبر التاريخ تلجأ لتسميم نبالها بفضلات بشرية لأن هذا يطيل التئام الجروح، أو تقذف ثياب المرضى على من تحاصرهم.

بطاطين الجدري:

يحفظ لنا التاريخ كذلك ذكرى حرب بيولوجية مبكرة شنها لورد جيفري أمهيرست الحاكم البريطاني لكندا وفرجينيا، الذي حارب الفرنسيين والهنود معًا. كان الزعيم بونتياك زعيمًا هنديًا من أوتاوا يتعاون مع الفرنسيين، وكان ثائرًا مع



قبيلته لأن البريطانيين لا يتعاملون تجاريًا معهم كما كان الفرنسيون يفعلون. هكذا بدأ خطر ثورة هندية شاملة يبدو في الأفق، دعك من أن الهنود كانوا مقاتلين شرسين فعلاً، وكانت الأرض تتعاون معهم، لذا كتب أمهرست في مذكراته: "كل شجرة هنا هي هندي". رأى لورد جيفري أن الحزم مع الهنود هو السياسة المطلوبة، بينما اعتبر التعامل التجاري معهم نوعًا من الرشوة. كانت مشكلته الرئيسة هي القضاء على هؤلاء القوم الذين اعتبرهم دون البشر. فكر في استعمال الكلاب لقتلهم لكنه عدل عن الفكرة لأنه لا توجد كلاب كافية؛ لذا أرسل لهم عام ١٧٦٣ هدايا ثمينة جدًا؛ هي بطاطين ومناديل مشبعة بفيروس الجدري. لم يكن يعرف شيئًا عن المرض، لكنه فعل بالضبط ما هو مطلوب. فيروس فاريولا ماجور يظل معديًا في صورته الجافة لأيام طويلة وربما لسنين.

الوثائق المحفوظة في مكتبة الكونجرس تبين بوضوح أوامره بتلويث البطاطين (للخلاص من هذا الجنس المقيت). تبين كذلك أوامره للجنرال (بوكيت) الذي ارتبط اسمه بهذه البطاطين. ومن الغريب أنه لم يبد رغبة مماثلة تجاه الفرنسيين، فقد كان يعتبرهم (عدوًا جديرًا بالاحترام) على عكس الهنود.

لقد أدان التاريخ جيفري أمهيرست بقسوة، لكنه كذلك اعترف بحقه في أن يجن، لأن جنوده العائدين من كندا كانوا مصابين بالملاريا جميعًا، وكانت زوجته في حالة نفسية مريعة لا تريد سوى العودة لإنجلترا. لقد كان الرجل يختنق وأراد إنهاء الصراع بسرعة وبأي ثمن.

تبين الوثائق أن الجيش البريطاني كرر الهدية القاتلة عام ١٧٧٥ ، هذه المرة مع الأمريكيين الذين كانوا يبلون بلاء حسنًا في محاولة السيطرة على كويبك. قام القائد البريطاني بتطعيم جنوده على طريقة د. جنر ثم نشر الوباء. وقد تراجع الأمريكان بعد ما دفنوا قتلاهم في مقابر جماعية.

في الحرب الأهلية الأمريكية كان الجنود الفيدراليون يقتلون الماشية ويلقون بها في موارد الماء التي يشرب منها جنود الاتحاد. لم يكن هذا كافيًا ليسبب أوبئة، لكنه بالتأكيد جعل مذاق الماء لا يطاق.

الحرب البيولوجية في القرن العشرين:

كانت الحرب العالمية الأولى أقذر حرب عرفتها البشرية من حيث عدم وجود قواعد أخلاقية على الإطلاق، وقد استعملت القوات الألمانية جرثومة الجمرة الخبيثة بحرية تامة عام ١٩١٦ مع الجيش الروسي. كما أصابوا الماشية في عدة بقاع بداء الرعام Glanders.

استمرت الحرب البيولوجية وتزايدت الحاجة لها مع الحرب العالمية الثانية. من جديد عاد الجدري يطل برأسه كحل فعال لإنهاء الصراع، ودارت الفكرة في رأس العلماء الأمريكيين والبريطانيين كثيرًا. لكن كان اليابانيون عن حق سادة الحرب البيولوجية في الحرب العالمية الثانية والأعوام التي سبقتها. هنا يظهر اسم الوحدة ٧٣١ التي كانت تتظاهر بأن عملها تنقية مياه الشرب قرب منشوريا، لكنها في الواقع كانت تعمل في دأب لتطوير الأسلحة البيولوجية (الجمرة – التولاريميا – الطاعون). كان مؤسس الوحدة هو د. شيرو إيشي .. قصير القامة والبصر خريج جامعة كيوتو.. أقنع الحكومة أن البلاد الأخرى تطور أسلحة بيولوجية ضد اليابان، وهكذا صرح له بأن يعمل ما بوسعه كي لا تصير اليابان الضحية الوحيدة. اختار مجموعة علماء أكفاء يكرهون الصينيين بجنون، وبدءوا العمل وكانت التجارب تتم على الأسرى الصينيين والكوريين. كل الدلائل تشير إلى أن الأمريكيين والبريطانيين كانوا يعرفون هذا جيدًا. عام ١٩٣٦ بدأت الوحدة تجربة إنتاجها في ميدان الحرب على الصينيين، وقد كانت في البداية تلجأ لوسائل بسيطة مثل إطلاق الحيوانات المصابة وسط الجنود أو رش البراغيث حاملة الطاعون من الطائرات، وهو ما تم فعلاً في إحدى الغارات على ننجبو عام ١٩٤٠. لا أحد يعرف عدد القتلى بدقة، وإن كان يدور حول مائتي ألف صيني. من الواضح أن النتائج كانت مشجعة. حتى قبل استسلام اليابان بشهر واحد كانت تخطط لإرسال طائرة انتحارية محملة ببكتريا الطاعون إلى سان دييجو بالولايات المتحدة. كان أول من أرسلته الولايات المتحدة إلى اليابان المستسلمة هو عالم البكتريا الشاب الميجورساندرز، الذي كان عليه أن يعرف ما وصل له اليابانيون بالضبط. وبعد الحرب أصدرت الولايات المتحدة عفوًا عن قادة الوحدة وعن شيرو إيشي نفسه، وكان ذلك بناء على رجاء من ساندرز للجنرال مكارثر. وبدأت الولايات المتحدة تصمم برنامجها الخاص اعتمادًا على خبرات اليابانيين. عرف الجمهور الأمريكي المصدوم هذه الحقيقة عام ١٩٩٥ في مقال شهير اسمه مقال (كريستوف). والأدهى أنه عرف أن أسرى أمريكيين كانوا ضمن خنازير غينيا التي أجريت عليها هذه التجارب الشنيعة.

المثير للانتباه أن مركز الحرب البيولوجية الأمريكية كان في ولاية ميريلاند في فورت دتريك. نفس المكان الذي يعمل فيه بروس إيفينز الذي سنقابله بعد قليل.

تتحدث وثائق الصليب الأحمر عن قيام عصابات الهاجاناه الإسرائيلية باستعمال بكتريا التيفود لتسميم مصادر الماء في عكا على الفلسطينيين، وقد قبضت القوات المصرية على هاجاناه متسللين يحاولون القيام بهذا العمل.

في الحرب الكورية استعملت الولايات المتحدة سلاح الحمى المالطية (البروسلا) في قذائف مدفعية ..

في أواخر الخمسينيات من القرن الماضي قرر الرئيس المصري جمال عبد الناصر أن يطور برنامجًا للحرب البيولوجية يتركز حول دائي التيفود والكوليرا، وتم تخصيص جزيرة سرية في البحر الأحمر لهذا الغرض، وأنشئ مختبر زود بالأجهزة والقردة اللازمة للتجارب، ثم قرر عام ١٩٦٩ أن هذا المجال خطر أكثر من اللازم ويصعب السيطرة عليه، لهذا قامت القاذفات المصرية بنسف المختبر والجزيرة كلها.

محاولة فاشلة للمنع:

في العام ١٩٦٩ أصدر الرئيس الأمريكي نيكسون قرارًا رسميًا بمنع أية بحوث في الحرب البيولوجية، وهو ما أدى لحرمان ٢٢٠٠ مستخدم من عملهم. وفي العام ١٩٧٢ وقعت الولايات المتحدة والإتحاد السوفييتي وبريطانيا ميثاقًا يحرم استعمال هذه الأدوية، لكن طبائع الأمور تؤكد أن هذا لم يحدث. لا تنس أن قوانين جنيف تحرم الحرب البيولوجية منذ عام ١٩٢٥. وسرعان ما ظهر جاسوس روسي فار إلى الغرب اسمه (أليبكوف) ليؤكد أن الشركة السوفييتية بيوبريبارات المؤسسة عام ١٩٧٣ هي في الحقيقة مسئولة عن تطوير برنامج عملاق للحرب البيولوجية. بالذات وباء الجدري باستخدام فيروس معملي مطور اسمه (إنديا ٦٧). لقد بذل السوفيت في السابق جهودًا عظيمة لتوفير لقاح فعال للجدري لكل البشر.. الآن يمكن فهم سبب حسن النية والكرم هذين .. عندما ينتهي إعطاء لقاح الجدري للبشر سيكون الجدري هو أشرس وباء في التاريخ.

من الصعب معرفة أية أقطار تحتفظ بالفيروس حتى اليوم، لكن الأمريكيين يشكون في روسيا بالطبع والصين وباكستان وإسرائيل وكوريا الشمالية.

كان هناك برنامج نشط في جنوب أفريقيا اسمه (كوست) وهو متخصص في تطوير جرثومة جمرة خبيثة لا يجدي معها لقاح ولا علاج. المشكلة أن حكومة جنوب أفريقيا العنصرية وإسرائيل شيء واحد تقريبًا. طور هؤلاء العلماء كذلك جينًا أخذوه من بكتريا (كلوستريديام برفرنجنس) التي تسبب داء غنغرينا الغاز، وزرعوه في بكتريا إي كولاي واسعة الانتشار. إذن نحن نتكلم عن وباء غنغرينا يجتاح المجتمع، و بالطبع مع زوال حكومة الأبارتهيد فإن ترسانة الحرب البيولوجية هذه معروضة لمن يدفع أكثر.

عرف الأمريكان هذا عندما عرض أحد العلماء من جنوب أفريقيا بيع بكتريا من إنتاجهم للولايات المتحدة. كان اسم الرجل دان جوسن وقد أرسل العينات لأمريكا في أنبوب معجون أسنان. أصيب الأمريكان بالهلع عندما رأوا البراعة والإتقان اللذين تم بهما تصميم البكتريا.

من المؤكد حسب الوثائق أن هناك بكتريا تم تطويرها جينيًا واختفت فجأة من هذه المختبرات. هذا حدث فعلاً وليس خيالاً علميًا.

مع تزايد خطر الإرهاب تتحسب الولايات المتحدة لهجمة بيولوجية؛ لذا تنفذ تدريبات تدعى (الشتاء المظلم)، وفي رأي المراقبين أن نتيجة التدريبات مخيبة للأمل جدًا حتى الآن. إن لفظة وباء في حد ذاتها تسبب هلعًا يتوقف معه أي تفكير مرتب، وينسى الناس ما تدربوا عليه، ويحدث شلل في كل شيء.

الوباء في بيتنا:

في ٢٧ يوليو عام ٢٠٠٨ انتحر عالم الميكروبيولوجي الأمريكي بروس إيفانز بجرعة عالية من الباراسيتامول. لهذا الانتحار قصة طويلة ... لكن يجب أن نعرف أنه كان قد استدعي للتحقيق باعتباره المتهم الوحيد في أول قضية إرهاب بيولوجي للقرن الواحد والعشرين.

في ١١ سبتمبر ٢٠٠١ حدث شرخ لا يلتئم في حاجز الأمان الأمريكي عندما اقتحمت الطائرات برجي مركز التجارة العالمي، وهنا كانت الطامة الكبرى بعد أسبوع واحد عندما راح عدد كبير من الأفراد بالولايات المتحدة؛ منهم إعلاميون وأعضاء بالكونجرس، يتلقون طرودًا مبهمة .. الذين فتحوا الطرود لم يدركوا إلا متأخرًا أنها تحوي جراثيم مرض الجمرة الخبيثة، والنتيجة

هي مصرع خمسة وإصابة سبعة عشر مواطنًا. بعض المرضى أصيبوا بجمرة الجلد وبعضهم أصيبوا بجمرة الرئة الأشد خطرًا.

كما يحدث مع ظهور الأوبئة، لم يشخص أحد حالة المريض الأول في البداية .. مجرد قيء متكرر وصعوبة تنفسية. توفي هذا المريض الذي كان صحفيًا في جريدة (صان)، وبعدها بدأت الخطابات تتكرر، وعرف الأطباء أن الخطابات تحوي مسحوقًا بنيًا هو ميكروب الجمرة الخبيثة. والمشكلة هي أن العينات كانت تتزايد نقاء مع الوقت.

كانت هناك خطابات كتبت بإنجليزية رديئة مع العينات، تقول في معظمها: "خذوا البناسيلن (هكذا) الآن .. الموت لأمريكا .. الموت لإسرائيل .. الله أكبر".

هذه حيلة لم تنطل على المحققين الأمريكيين طبعًا، فالتقنية المستعملة تحتاج إلى مختبرات عالية التقنية لا يمكن أن تتوافر للإرهابيين، ومن المستحيل تركيب هذه الجراثيم في كهف. هذا ليس إرهابًا إسلاميًا بل هو شخص يتظاهر بذلك، لكن شهية الأمريكيين كانت قوية لاتهام شخص من الشرق الأوسط. كانت هناك حروف أكثر وضوحًا وسمكًا من سواها في الخطابات وتحدد عبارة TAT TTT AAT. قدر المحققون أن هناك رسالة مخفية في الخطابات .. وفيما بعد عرفوا أن الفاعل كان مهتمًا بكتاب عن الشفرات، وكيف يمكن عمل شفرة بوساطة تركيب القواعد في الحمض النووي DNA؛ لهذا كانت العبارة ترمز إلى حروف FNY أو PAT. العبارة الأولى نوع من السباب لمدينة نيويورك والعبارة الثانية هي اسم مساعد الفاعل.

قامت الاستخبارات الفيدرالية بتحريات واسعة مضنية عن مصدر هذه الخطابات، خاصة مع خطابات عديدة زائفة تقلد الخطابات القاتلة. في البداية سادت إشاعة أن الجراثيم تحوي مادة البتونايت، وكان هناك بلد واحد يستعمل هذه المادة في أسلحته: العراق. لكن البيت الأبيض أصر على أن العينات لا تحوي سوى السيليكا، ولغرض لم يعرفه العلماء قط.

تم تعقب الحمض النووي في البكتريا التي تم فصلها مع أول حالة، واستغرق هذا شهرًا. وتبين أن الجمرة تم زرعها قبل إرسال الخطاب بعامين. أما الماء المستخدم في المزرعة فكان من مصدر في شمال شرق الولايات المتحدة. قاد الفحص في عام ٢٠٠٩ إلى أن الزجاجة التي أخذت منها الجراثيم كانت تحمل رقم RMR-1029.. وكان هناك رجل واحد مسئول عنها هو بروس إيفينز.

قررت الاستخبارات الفيدرالية أنه من الممكن أن يقوم رجل واحد بهذا العمل المتقن، وفي مختبر بالبدروم، بتكلفة تبلغ ٢٥٠٠ دولار.

وفي العام ٢٠٠٨ وجهت الحكومة أصابع الاتهام نحو الباحث بروس إيفنز الذي كان يعمل في الحرب البيولوجية في فورت دتريك. والحقيقة أن رجال الاستخبارات الفيدرالية جعلوا حياته جحيمًا وكانوا يفتشون بيته كل يوم. ظل العلماء في حيرة لأنهم لا يصدقون أن تبلغ قدراته هذا الحد .. تحويل الجرثومة إلى شيء يُشم يتعلق بفرع آخر تمامًا من العلم، فهذا يقتضي أن يكون حجم دقيقة السائل المتطاير ١ - ١,٥ ميكرون.. لو زاد حجم الدقيقة عن هذا فلن تصل للمجاري التنفسية السفلى، ولو كانت أصغر فالمرء يسعلها ويتخلص منها. يجب كذلك أن تكون معزولة عن الشحنات الكهربية وتقاوم أشعة الشمس .

كان إيفينز في الثانية والستين عندما توفي – منتحرًا على الأرجح - وكان عالم ميكروبيولوجي وخبير لقاحات يعمل في فورت دتريك. قضى ٣٦ عامًا من حياته مع الحرب البيولوجية، وكان له اهتمام خاص بمرض الجمرة الخبيثة. بل إنه من فريق العلماء الذين قاموا بتحليل الخطابات السامة، وهو ممن تبنوا نظرية البنتونايت التي تشير بالاتهام للعراق، مما يجعل رجال الاستخبارات يشكون في أن تقريره احتوى معلومات مضللة عن عمد. وحتى في العام ٢٠٠٨ كتب ورقة علمية عن الجمرة وكيفية مكافحتها باللقاح، واستشهد بهجمات الجمرة التي وقعت عام ٢٠٠١. انتحر قبل أن يوجه له مكتب الاستخبارات الفيدرالي اتهامًا رسميًا بأنه المسئول عن هجمات وباء الجمرة، وهي تهمة كانت ستؤدي إلى الإعدام غالبًا. من الناحية الشخصية كان إيفينز كاثوليكيًا متدينًا، وإن حمل احترامًا شديدًا لليهودية لدرجة أنه اعتبر اليهود شعب الله المختار فعلاً. وفي الأعوام الأخيرة بدأت علامات عدم الاستقرار تظهر عليه، مع اكتئاب شديد، مما دعا رؤساءه إلى حظر دخوله للمناطق الحساسة في المشروع.

زملاء إيفنز لا يصدقون بتاتًا أنه فعل ذلك، فالعملية على كل حال تقتضي عامًا من العمل الشاق، وبالتأكيد كانوا سيشعرون بما يقوم به أو يحدث تسرب كارثي في أي وقت. يقول زميل له للجنة التحقيق: يشبه الأمر أن تحدث جريمة قتل فتقبض على بائع السلاح، لمجرد أن الرصاصة المستخدمة تطابق الرصاص الذي عنده.

البعض الآخر لم ينف أن يكون إيفنز ضالعًا في هذه الجريمة، لكنه استبعد تمامًا أن يكون الرجل قد عمل وحده. لقد مات الرجل بسره، لكن هل هناك في الحكومة الأمريكية من يعرف ما هو أكثر؟

إن الحرب البيولوجية موضوع طويل شائك .. والأسوأ أن كل الدلائل تؤكد أن الكتاب لم يُغلق بعد .. ما زالت هناك فصول ستُكتب فيه بلا شك. لهذا تبقى أساليب الوقاية من حرب بيولوجية محتملة موضوعًا مهمًا للأمن القومي العربي.



د. شيرو إيشي

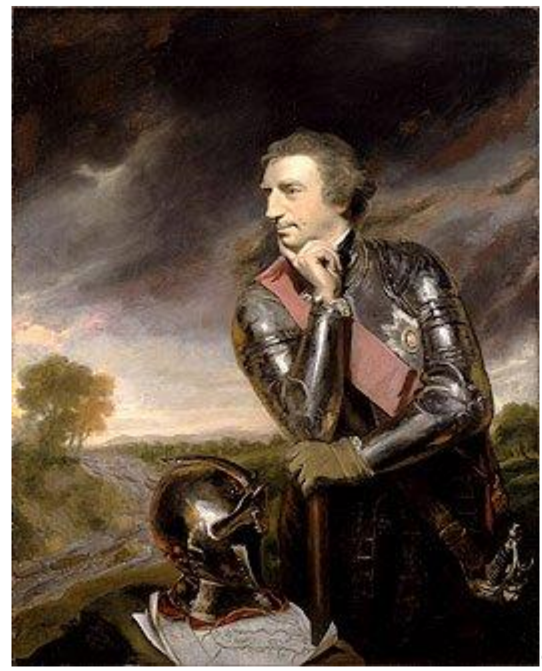


د. شيرو إيشي



عملية إهداء

البطاطين


لورد أمهيرست

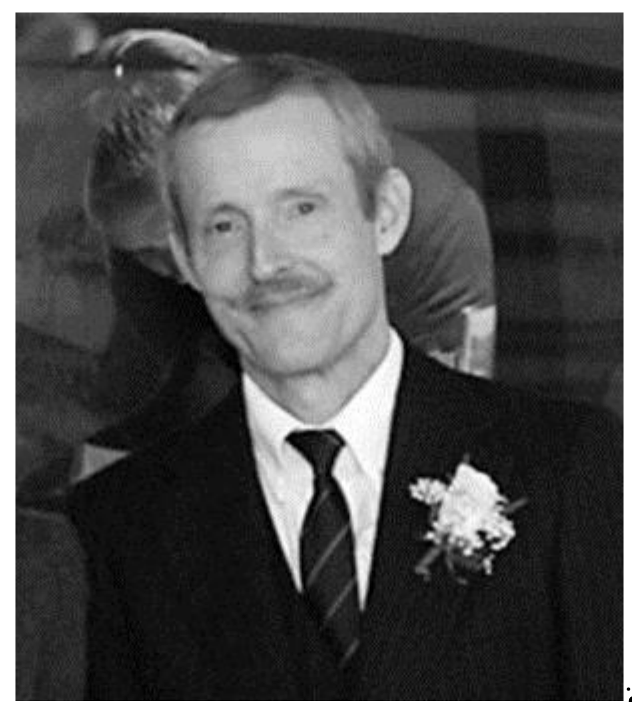

الوحدة ٧٣١



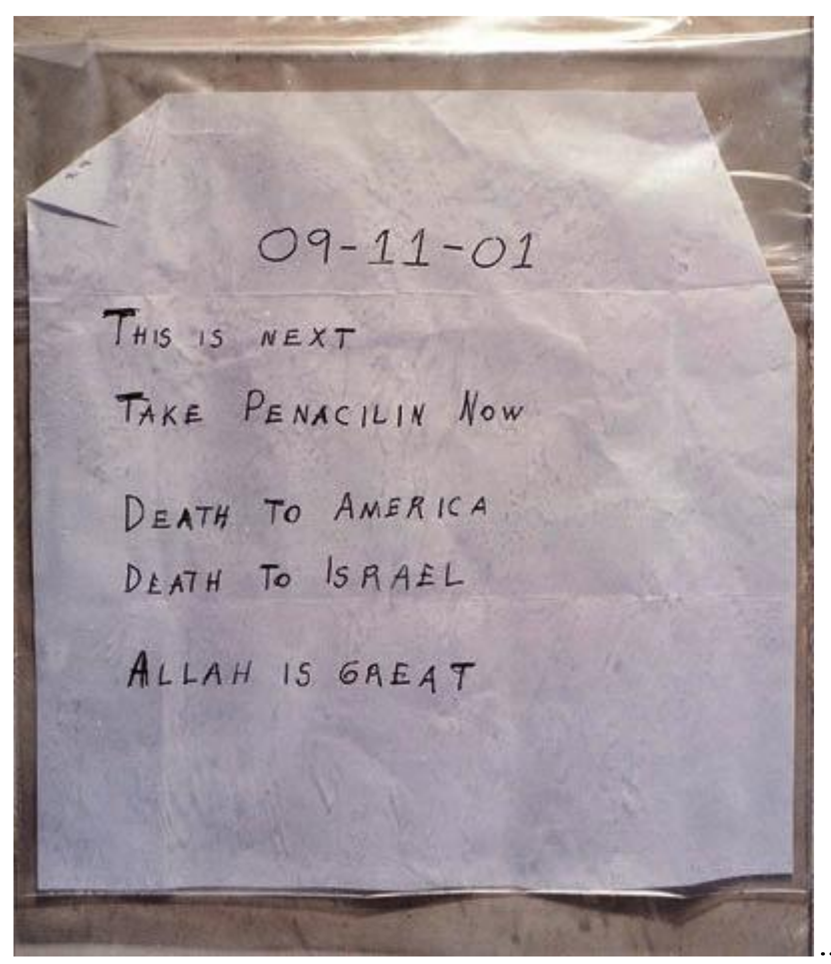
أحد مختبرات الوحدة ٧٣١



بروس ايفانز



بروس ايفانز



09-11-01

THIS IS NEXT

TAKE PENACILIN NOW

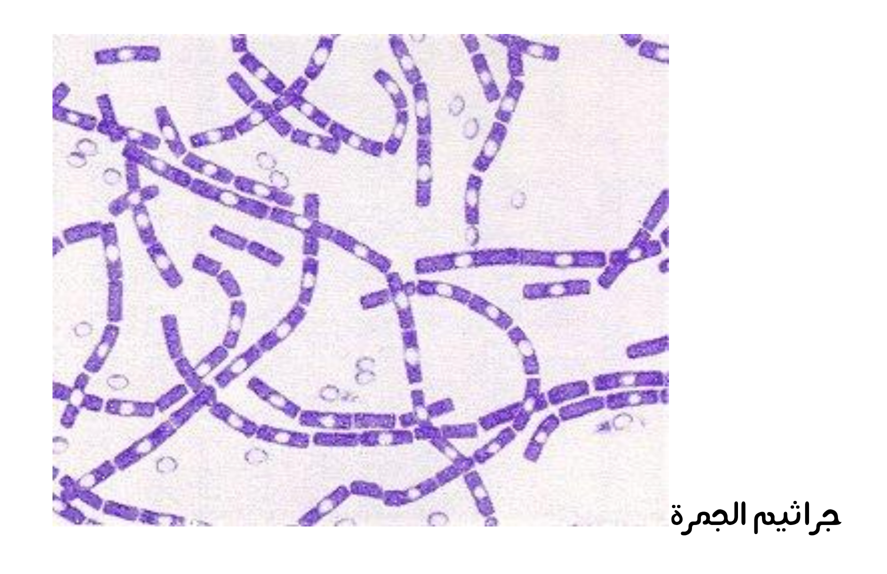
DEATH TO AMERICA

DEATH TO ISRAEL

ALLAH IS GREAT

رسائل الأنثراكس ..

TTT AAT TATويلاحظ الحجم الغليظ لحروف معينة


جراثيم الجمرة

!ذكريات الطاعون

قال لي صديقي في دهشة: "أنت المجنون الوحيد الذي يمكن أن نجد عنده كتابًا اسمه التيفوس والتاريخ!".

يحمل "لم أفطن قبل اللحظة إلى أن هذا الكتاب المهم الذي كتبه عالم الأوبئة "زنسر عنوانًا غريبًا لهذا الحد.. الحقيقة أنني تعلّمت الاهتمام بتاريخ الأوبئة من هذا الكتاب بالذات، وكان يحوي دراسة مهمة عن أوبئة الطاعون في التاريخ، حيث يرى المؤلف أن معظمها كان أوبئة تيفوس في الواقع، لكن قدرات الطب في ذلك الوقت اعتبرت أي وباء طاعونًا. تذكرت هذا الكتاب المهم كما تذكرت كتابًا آخر هو "أمراض لها تاريخ" للدكتور "حسن فريد أبو غزالة" الذي صدر عن مؤسسة الكويت للتقدّم العلمي (طبعة أولى ١٩٩٥).

الطاعون، فإنني أرجع لهذين أما وقد كثر الكلام عن



الكتابين القيمين، وقبل أن أتكلم أقول إن التقدّم العلمي جعل الطاعون وباء محدود الخطر بلا شك، فلا ينبغي أن يكون غرض هذا المقال إثارة الذعر بل هو العلم بتاريخ هذا المرض.

منذ فجر التاريخ يخشى الإنسان الفئران ويربطها بالشر والدنس، وقد قالوا عن الفأر إنه من الحيوانات القليلة التي تستفيد ولا تُفيد غيرها.. سريع التوالد إلى درجة أنه لو تزوّج فأر وفأرة ولم يلحق شر بذريتهما، فإنهما سيضيفان للعالم ١٥ ألف فأر خلال عام! هناك فأر لكل إنسان على وجه الأرض. لقد برهنت الفئران على قدرتها على التكيّف والبقاء، لدرجة أنها الكائنات الوحيدة التي تنجو بعد التجارب النووية التي يُجريها الجيش الأمريكي في المحيط الهادي. عرف الإنسان أن الطاعون والفأر يتلازمان، لكنه لم يربط بينهما بعلاقة السببية، ولم يعرف الثلاثي (فأر - برغوث - إنسان). وإن لاحظ العظيم "ابن سينا" قبل سواه أن خروج الفئران من جحورها لتمشي مترنحة وتموت، هو نذير شر مستطير يسبق الوباء.

يظهر الطاعون كوسيلة محببة للانتقام السماوي في النصوص اليهودية، فمثلاً يزعمون أن الفلسطينيين عام ١٣٢٠ ق.م في أشدود سلبوا التابوت المقدس فعاقبهم الرب بأورام في مواضع سرية من أجسادهم.. الوصف يوحي بشدة بالطاعون الدملي.

أما عن طاعون "جستنيان" فهو الوباء الأشهر في التاريخ.. الاسم منسوب لإمبراطور بيزنطة الذي حكمها عام ٥٢٧. يقول المؤرخون إن الوباء بدأ من مصر في قرية "الفرما" ثم سار عبر أرض فلسطين ثم بيزنطة.. وفي كل يوم كان يموت عشرة آلاف رجل.. وندر الحفارون وعمد الناس إلى الأبراج ينزعون سقفها ويملئونها بالجثث.. ويصف أحدهم الوباء قائلاً: "تظهر دمامل في أعلى الفخذ، لا يعيش معها المرء إلا أيامًا معدودة.. وخلت القرى من المزارعين والمدن من السكان.. وقد عمر الوباء خمسين عامًا".

عرف الجنود المسلمون الطاعون في عام ٦٤٠ عند "عمواس" الفلسطينية. توفي قائدهم أبو عبيدة بن الجراح" ومعه "يزيد بن أبي سفيان" و"معاذ بن جبل" ومعهم ٢٥ ألف جندي " من المسلمين.. وكان "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه متجهًا ليتفقد أحوال الجيش، فلم يدرِ هل يُواصل أم يعود!!.. هنا ذكر له "عبد الرحمن بن عوف" الحديث النبوي الشهير: "إذا سمعتم بالوباء في بلد فلا تَقدِموا عليه، وإذا وقع وأنتم فيه فلا تخرجوا فرارًا". كان هذا هو القول الفصل، فقرر الرجوع.

يظهر وباء الطاعون الأعظم من وسط آسيا.. بدأ الأمر بمجموعة من التجار 1341عام الإيطاليين العائدين من الصين، طاردهم التتار فاضطروا للفرار نحو أسوار ميناء كافكا. دام حصار التجار ثلاثة أعوام وفي ذات يوم نفدت مقذوفات التتار مما جعلهم يستعملون نوعًا جديدًا من القذائف: جثث من ماتوا بالطاعون في صفوفهم..! هذه كانت أول حرب بيولوجية في التاريخ. وهكذا بدأ الوباء.. ثم عاد التجار الإيطاليون فارين لبلادهم، فبدأ الوباء يزحف نحو العراق والأناضول ومصر وشمال أوروبا.. وبسببه خلت غزة وجنين ونابلس من سكانها.

أعلن البابا كليمنت السادس تحديد العام للحج إلى الفاتيكان؛ كي يتطهر الناس 1350عام من الخطيئة. هذه كانت أسوأ فكرة ممكنة؛ لأن مليونًا ونصف من الحجاج قصدوا الفاتيكان، لم يعد منهم سوى العُشر..

وقد دام الوباء ٣٠٠ عام، وفي حلب كان الناس يدفنون عشرين جثة في القبر بلا غسل ولا صلاة.. لقد بلغ عدد القتلى يوميًا ألف واحد. وقد كتب محرر إيرلندي يصف الوباء في فقرة يقول في نهايتها: "إنني أنتظر الموت.." وفعلاً لم يستكمل الجملة.. وقد قيل إن نظرات المريض ذاتها تنقل المرض.. لهذا كانوا يعصبون عينيه، وقيل إن السبب هو رائحته.. لهذا انتشرت صناعة العطور..

وزحف الوباء إلى المغرب عام ١٤١٥ فقتل ٣٦ ألفًا في شهر واحد.. وبدأ النظام الإقطاعي يتراجع بسبب موت الفلاحين..
هكذا يستمر هذا الخصم المخيف يهجم ويتراجع.. يهجم ويتراجع..

لا يعرف أحد لماذا سمي بالموت الأسود.. هل بسبب النزف في الجلد؟.. لكنه انضم لرفاقه الملونين: الموت الأبيض "السل" والموت الرمادي "الزهري". لم يكن لدى الأطباء ما يفعلونه، وكان الطبيب يلبس ثيابًا غريبة وقناعًا يُشبه رأس الطائر قيل إنه يقيه من العدوى. وقد ابتكر بعض الأطباء صابونًا من صديد مرضى الطاعون قيل إنه يعطي الوقاية!!

تخيّل رجال الشرطة يفتّشون البيوت، فإذا وجدوا مريض طاعون أغلقوا البيت على من فيه، ورسموا على الباب صليبًا أسود مع عبارة "فليرحمنا الله". تخيل الحجر الصحي الذي يدوم أربعين يومًا، وتخيل إعدام من يحاول الفرار من منطقة موبوءة.. اتهموا اليهود بأنهم السبب في الوباء؛ لأنهم يسممون الآبار، وحكم على كل يهودي في فرانكفورت أن يسلم للسلطات ٥٠٠٠ ذيل فأر كل عام.

إن مشهد السفينة التي مات كل من فيها بالطاعون فمشت وحدها في البحر في قصة دراكيولا"، ليست خيالية تمامًا، فقد وقعت لسفينة محملة بالبضائع غادرت ميناء لندن " ثم ظلت تطفو بلا هدى حتى وصلت ميناء في النرويج.

لم يهمد الطاعون لحظة واحدة، ففي العام ١٩١٠ يُهاجم الحي الصيني في سان فرانسيسكو بالولايات المتحدة، فلم يوقفه إلا الحريق الشهير الذي اجتاح المدينة.

على أن نهاية المرض كانت قادمة عام ١٨٣٥ على يدي "يرسين" تلميذ باستير السويسري النابغة الذي اكتشف البكتيريا المسببة للمرض، وكيتاساتو الياباني تلميذ كوخ.. وهكذا تكريمًا لأستاذه، لكن العلماء "اختار الأول للميكروب اللعين اسم "باستوريلا بستيس أصرّوا على تسميتها "يرسنيا بستيس". فيما بعد عرف دور الفئران في المرض..

وعام ١٩١٤ عرف دور البرغوث..
وبعد أعوام توصّل "هافكين" إلى ابتكار لقاح موفق للمرض، وإن لم يعد متوفرًا بسبب ندرة الوباء..

هكذا وبعد اكتشاف المضادات الحيوية وتطوّر الطب الوقائي يمكن للعالم أن يعلن أخيرًا هناك خطر قادم من الغرب، ولكن تذكر أننا لو كنا قبل هذا بمائتي عام ..!!هزيمة الطاعون لكان الموتى مكدسين في الطرقات لا سمح الله.. لقد جئنا في الزمن الصحيح. إنها بؤرة سوف تتم محاصرتها سريعًا، ويبقى الخطر الحقيقي هو ذلك المرض غريب الأطوار "إنفلونزا الخنازير"

الجزء الثانى

علم الفودوو

الطريف في فنون التخويف

..لا تصدق كل شيء؛ بل كن وغداً متشككاً

تأخّر الخطاب كثيراً؛ لكنني كنت أدرك يقيناً أنه قادم، ومع الوقت بدأت أقلق.. هناك خلل في بريدي أو في شخصي بالتأكيد.. ربما أنا لا أستحق أن ينذروني؟

..ثم جاء الخطاب الذي انتظرته طويلاً.. الحمد لله.. الدنيا لاتزال بخير

إندومي"، التي "خبيرة غذائية تحذّرنا من استعمال المكرونة الآسيوية الدقيقة المسماة يدخل في تكوينها ملح صيني يدعى "إجني موتو"، وهو يسبب تلفاً في خلايا المخ ويسبب سرطان الدماغ.

التي تسبب تسمم المخ وتسبب تراجع الذاكرة وضعفها. E621 إن الإندومي يحتوي مادة وتدهور القدرات العقلية وفقدان القدرة على التركيز ومعالجة الأمور الحسابية أو الرياضية المتوسطة، ثم تؤدي إلى غباء فعلي بدون مبالغة.

كذلك تؤدي الإندومي إلى الإصابة بالشلل الرعّاش والزهايمر والصداع المزمن، ومع الاستمرار في تناولها تؤدي للسرطانات مثل سرطان الثدي وارتفاع الكولسترول وضغط



والكلام لخبيرة التغذية- نقدّمها - الدم والأزمات القلبية الحادة وغير ذلك الكثير... ونحن ونجعلها الوجبة الرئيسية للعشاء لفلذات أكبادنا ونستغرب عندما نراهم لا ينامون، ونراهم في المنزل يجرون ويصرخون ويقلبون البيت، وتظهر منهم مشاغبات ليس لها حدّ، أَمَا حان الوقت لنأخذ موقفاً من هذه المنتجات والتأكّد من ..ونقول هذا جيل اليوم مكوناتها، والبحث عن مضارّها ومنافعها قبل استعمالها؟

وهكذا أضيف عنصر جديد إلى قائمة الإنذارات اليومية التي سترسل بنا إلى معهد الأورام ثم القبر. كلنا ذاهبون للقبر قطعاً؛ لكن لا يحبّ أحدنا أن يسبق ذلك ترانزيت في معهد الأورام .أو مركز الكلى أو معهد الكبد لا سمح الله

على كل حال يسهل تصديق هذا الخطاب جداً؛ لأن كل أب يعتبر أبناءه أغبياء وغير عبقري.. إذن -طبيعيين.. ما هو السبب؟.. لا يمكن أن يكون السبب وراثياً لأنه -الأب .المشكلة فيما يأكله هؤلاء الأوغاد الصغار

هذا الخطاب بالذات قوي التأثير جداً لدرجة أنه أدى لصدور فتوى عراقية تقضي بتحريم أكل الإندومي، ولا لوم على صاحب الفتوى طبعاً لأنه استند إلى كلام العلماء الذي يقضي بوجود .ضرر أكيد

هذه القائمة الطويلة من الأمراض التي تسببها الإندومي – كأنك تتعامل مع مخلفات الشيطان- تثير الريبة فعلاً. عندما يشكو لي المريض من رأسه وقلبه ومعدته وقدميه .وتنفّسه؛ فإنني أرجح أن المرض الحقيقي موجود في عقله

، ونحن نعرف أنها تستخدم E621 هي نفسها MSG مادة مونو صوديوم جلوتامات أو كمكسب طعم في كل شيء تقريباً. معظم الدراسات التي أجريت عليها تقول إنها مأمونة بالجرعات العادية... لو أخذت أي شيء بجرعات زائدة؛ حتى لو كان فيتاميناً فهو مضرّ بالتأكيد، وبالطبع هناك أشخاص قد يكونون مصابين بحساسية للجلوتامات، أو لا يجب أن ينالوا جرعات إضافية من الصوديوم، هم يعرفون هذا؛ لهذا اشترطت الحكومات كتابة .أن المنتج يحتوي هذه المادة.. الدراسات كثيرة جداً لأن هذه المادة مفضلة للذعر

هارولد مكجي" "ومن حين لآخر يعود الكلام عن أنها خطرة أو مسرطنة.. لكن العالم الأمريكي خلاصة هذه الدراسات "2004 - يؤكّد في كتابه عن الطعام والطبخ: "العلم وتقاليد المطبخ .التي تؤكّد أن هذه المادة بلا أي خطر

، الصينيون أجروا دراسة مدققة واسعة فوجدوا أن الخطر FDA نفس الشيء أكّدته الـ
.الوحيد لهذه المادة زيادة الوزن

، وهناك تهديد 2007على كل حال تبيّن أن هذا التهديد الزائف يدور عبر الإنترنت منذ عام
زائف آخر يعود لعام ٢٠٠٠ عن أن الأكواب الرغوية التي تقدّم فيها "النودلز" تسبب تسمّماً
.بالمادة الشمعية المغطية للمكرونة... كلام فارغ هو الآخر

تهديد آخر من هذا الطراز العجيب يتعلق بأكل الجمبري.. لو أكلت جمبري ثم أكلت بعده
.البرتقال أو أقراص فيتامين (ج) فأنت تكتب شهادة وفاتك

الباحثون في جامعة شيكاغو وجدوا أن لحم الروبيان (الجمبري) يتضمن تركيزاً عالياً
من مركبات الزرنيخ مع البوتاسيوم.. مع فيتامين سي، يتحول الزرنيخ إلى ثالث أكسيد
.الزرنيخ، ويقتل الشخص الأحمق

حتى قبل أن تبحث عن المعلومة؛ فمن الصعب تصوّر أن يؤكسد فيتامين سي الزرنيخ؛ بينما
هو عامل مختزل معروف.. فيتامين سي لا يؤكسد بل يمنع الأكسدة! طبعاً تبيّن أن هذا
التهديد كلام فارغ خال من الصحة، وهذه الإشاعة تجوب شبكة الإنترنت منذ عام ٢٠٠١، ولا
.يبدو أنها ستموت أبداً لأن كل واحد يعرفها يعتقد أنه عرف شيئاً لم يعرفه أحد من قبل

:ما أريد قوله هنا يتلخص في نقاط

1-.نصف العلم جهل.. والإنترنت كما أفادت، نشرت الجهل والمعلومات الخاطئة بسرعة البرق
ومن الصعب أن تقرر: هل انتشار المعلومات الخاطئة أفضل أم عدم انتشار المعلومات على
الإطلاق؟

2- في قصة لـ"برخت" يحكي عن رجل لم تعد لديه لذة في الحياة سوى الكلام عن السرطان الذي
أصيب به.. هنا نجد أن الناس لم تعد لديها لذة في الحياة سوى التهديد بالسرطان.. هذا ما
أطلق عليه "شهوة السرطان"؛ حيث كل شيء مسرطن، وهذا الكلام يظفر بالتصديق دوماً
بسرعة البرق. بعض التحذيرات حقيقي وثابت علمياً ولا يحتمل المزاح، مثل أن رقائق
البطاطس التي يلتهمها الجميع تحتوي مادة "الأكريلاميد" المسرطنة، ومثل أن السواد
الدفين تحت قشرة البصل هو مادة أفلاتوكسين التي تسبب سرطان الكبد.. لكن هناك الكثير
من الهراء كذلك: موجات الميكرويف تسبب السرطان (بحثت بدقة عن هذه النقطة وأعرف
يقيناً أنها كاذبة).



وفي أحد المؤتمرات العلمية الكبرى وقف أستاذ مصري كبير ليؤكد أن عقار البرازيكوانتل الذي أنقذ مصر من البلهارسيا يسبب السرطان، وهنا سأله أحد الأساتذة الذين يديرون الجلسة: "أين قيل هذا؟". قال مُصرّاً: "في الأبحاث في كل مكان..". هنا قال الأستاذ الثاني: "أنا لا أتحمل مسئولية أن تقال هذه الكلمات غير المسئولة في مؤتمر علمي، وأمام مئات من شباب الأطباء، الذين سيعتقد كل منهم أن هذا العقار الرائع يسبب السرطان، وبالتأكيد لن يكتبوه بعد اليوم بسببك".

نفس الشيء قيل عن عقار آخر مهم هو "رانيتدين".. لا مشكلة.. قل عن أي دواء إنه يسبب السرطان وسوف يصدّقك الجميع لأن الناس تحب أن تكون الأطعمة والأدوية خطيرة وقاتلة، وتكره جداً من يقول العكس.

3- إشاعة أن البيبسي كولا تنقل التهاب الكبد (سي)؛ هي بالتأكيد من هذا الطراز.. جزء كبير من هذه الحملات يتعلق بمعارك طاحنة بين علامات تجارية.. طبعاً يعرف أصغر طالب طب أن هذا كلام فارغ.

4- لا ألوم المواطن العادي الذي لا يعرف؛ لكن ألوم الأطباء الذين يجرّهم تيار الخرافة معه وهم قادرون على التحقق.. هناك كذلك الرغبة في الشعور بالتميّز وأنك تعرف ما لا يعرفه الآخرون.. عندما يقول طبيب على شاشة التلفزيون إن الجزر -مثلاً- يسبب السرطان؛ فهل تلوم المواطن العادي عندما يخاف؟

5- الخوف موجات.. موجة الخوف من جنون البقر -الذي لم يثبت قط أنه ينتقل من اللحم للبشر- ثم ظهرت أنفلونزا الطيور.. هذا مرض حقيقي مخيف؛ لكنك قادر على الوقاية منه ببعض التعليمات الصحية، والتخلص من جلد الدجاج والطهي الجيد والابتعاد عن أي مكان تغطي أرضه مخلفات الدجاج؛ لكن الناس أصيبوا بالذعر، وهكذا نسوا ما كان وعادوا يأكلون اللحم.

ثم ظهرت أنفلونزا الخنازير فنسي الناس كل شيء عن أنفلونزا الطيور وعادوا يأكلون الدجاج!. ومن جديد لا لوم عليهم؛ فلابد أن يأكلوا شيئاً؛ لكني ألوم الإعلام غير المسئول وثقافة الرعب السائدة. أحياناً يلعب النجوم دوراً في هذا.. مثلاً كان هناك برنامج جماهيري استضاف الفنان محيي إسماعيل؛ ليعلن إعلاناً خطيراً: هو لن يأكل أي شيء بعد اليوم!.. كل شيء ملوّث مسمّم وخطر، وتكلّم عن الدودة التي تسكن عروق ورقة الخس لتبدو مثلها بالضبط.. بعد هذا العمر لم أسمع عن هذه الدودة قط. لابد من طريقة انتقال فلتنهمها

تتحمل العصارة المعدية والحمض، والخس لا ينقل الفاشيولا أو الإسكاريس بهذه الطريقة أبداً.

6- لابد من أن يزداد حظنا من العقلية النقدية: هل هذا ممكن؟.. ما الدليل؟.. لا تصدق كل شيء؛ بل كن وغداً متشككاً.. بعض البحث على شبكة الإنترنت في المواقع المحترمة -وليس المنتديات- مفيد، وقد يفيد كذلك استشارة من تعرف من أطباء. ولا ترسل الرسالة لطرف ثالث قبل أن تكون واثقاً من أن هذه هي الحقيقة.

أناميد مودن

أناميد مودن ١

فى فترة قصيرة لا تتجاوز يومين، قرأت في الصحف خبرين عجيبين يثيران الكثير من الأسئلة

.والخواطر السلبية
الخبر الأول: يتكلم عن طالبة صغيرة اكتشفت علاجًا لفيروس سي. يقول العنوان إن التكلفة تتلاشى تليف الكبد (يعنى إيه؟)، وقيل للطالبة (بحثك هيتحقق بمصر كمان تلاتلاف سنة).
ما معنى هذه الجملة الأخيرة؟ هل يعنىأن البحث سيتقدم بمصر ثلاثة آلاف سنة؟ أم يعنى أنه لن يتحقق إلا بعد ثلاثة آلاف سنة؟ هذا يؤكد ما أعتقده دائمًا من أن اللغة تعكس طريقة .التفكير، والشخص مرتب الفكر يتكلم لغة جيدة سليمة واضحة المعانى
يقول الخبر الغريب إن فكرة العلاج التى ابتكرتها الطالبة تعتمد على عمل هندسة وراثية والله العظيم أعرف أنها بالذال (جذعية) وليست بالزاى، لكن دعنا .(للخلايا (الجزعية من خلال إفراز كمية إضافية من الإنترفيرون الطبيعى، لافتة إلى أن .نتجاهل هذا الإنترفيرون يفرز طبيعيًا من الخلايا المناعية بالجسم، والتى تمنع تكاثر الفيرس وتحمى الخلايا من دخولها، ولكن يفرز بكميات قليلة بالنسبة لفيروس سى، والتى يتم تزويدها .بالحقن
وأضافت الطالبة أنها لن تستخدم فى علاجها (أناميد مودن) أو حيوانات. لاحظ أنها تتكلم نموذج حيواني) لكن محرر الخبر يعرف الإنجليزية على طريقة)عن (أنيمال موديل) أو الترجمانات فقط معتمدًا على السماع. قالت الطالبة إن العلاج سيتم من خلال استخلاص الجزعية) من)الإنترفيرون من كرات الدم البيضاء بالفرد المصاب، ويتم استخلاص الخلايا نخاع العظام من المريض نفسه، حتى يتم التوصل إلى التوافق بنفس الجينات ولا يرفضها الجزعية) المتواجدة بالجسم. الخلايا)الجسم، ثم يتم بعد ذلك وضع الإنترفيرون فى الخلايا (الجزعية) يتم تحويلها إلى خلايا كبد ثم يتم وضعها فى مكان الخلايا التالفة بسبب الفيرس، لافتة إلى أنه حينما يحاول (الفيرس) مهاجمة الكبد مرة أخرى يتم التصدى له من .خلال إفراز كميات إضافية من الإنترفيرون ضده
واستطردت الطالبة: لم أستطع التواصل مع أى مستثمرين، وحينما عدت إلى مصر هناك من سخر منى، وهناك من قال إمكانياتك مش فى مصر، وبحثك ده خيال وممكن يتحقق كمان ٣ آلاف سنة، مضيفة أحاول الآن التواصل مع المسئولين عن البحث العلمى فى مصر، . .لكنى لم أستطع ذلك حتى الآن
هل فهمت شيئًا من هذا الاكتشاف؟لا يوجد منطق علمى ولا شيء، ومن الواضح أنها لا تعرف الكثير عن الخلايا الجذعية ولا الفيروس سى ولا الانترفيرون. هذا كلام يبدو مقنعًا، لكن لو دققت في المنطق لوجدت أنه تهاويم خيالية لا تمت للعلم بصلة، على طريقة جلسات المقاهي: ممكن بقى نعصر السحاب نطلع منه مية نستصلح بها الصحراء. نهارنا عسل بإذن الله. الغريب أن معظم التعليقات فىالصفحة تشيد بهذا الكشف العظيم الذي .سيذهل العالم، وتشتم المسئولين متحجري الفكر في مصر



:للمرة الألف أكرر فقرة لي من مقال قديم

هناك افتراض مصري راسخ وساذج أن المصرىعبقرى لكن ليست لديه إمكانيات، بينما الألمان واليابانيون أغبياء، لكن لديهم الكثير من المال. الحقيقة أن المصرى ليس أذكى من الأجناس الأخرى وليس أغبى، لكن نظم التعليم الفاسدة تؤذيه جدًا. يعلن أحدهم عن كشف غامض، ثم يسرع ليتوارى خلف جدار حصين. الجدار عبارة عن مقولات نسمعها كل يوم (لن نتقدم أبدًا لأن النفوس وحشة ونحن نحقد على بعض)، (عندنا العلم كله بس يا خسارة)، (المصرى لا يجيد سوى هدم المصري)، (الشركات العملاقة يهمها ألا تظهر هذه الحلول الرخيصة). وراء هذا الجدار ظهر ألف علاج للسرطان وألف علاج للسكرى وألف علاج لالتهاب سى، والويل لمن يجرؤ على التشكك أو يدعو للتعقل. إنه حاقد ومن حزب أعداء النجاح، ولا يجيد سوى الهدم. فقط يتكفل الزمن بأن يكشف الحقيقة بعد ما يكون الناس .قد أنفقوا الملايين وأحرقوا جبالاً من الأحلام

.لا كرامة لنبى فى وطنه، لكن كل الكرامة والمجد والمال والشهرة لمدعى النبوة في وطنه

لا يمكن أن نتهم الصحفي طيلة الوقت، فهو في النهاية غير متخصص، لكن كان بوسعه أن يسأل المتخصصين. لو وجدت بحثًا هندسيًا يتكلم عن جهاز يستخدم أشعة جاما لتخويش اللدائن البوليمرية باستعمال الدرفلة من دون البثق والتفريز، فإننى لن أكذّب ولن أنبهر. سوف آخذ رأي مهندس قبل أن اكتب حرفًا. لو كنت أنت مهندس وتجد كلامى هذا فارغًا، فإن بوسعك أن تفهم شعوري عندما أقرأ عن الخلايا الجذعية التى سنزيد إنتاجها من الانترفيرون، كأن هذه النقطة فاتت مختبرات الشركات العملاقة الساهرة من أجل فيروس سى في ألمانيا وأمريكا وفرنسا وانجلترا. بالطبع سوف أستبعد وجود قدر من مجاملة .الطالبة بنشر هذا الخبر، لأنها قريبة الصحفى أو ابنة صديق عمره

سوف نتجاهل هذا الخبر إذن ونتجاهل الـ(أناميد مودن)، وننتقل في المقال القادم لخبر عجيب آخر نشر فى جريدة

أناميد مودن ٢

نشر هذا الخبر في جريدة محترمة ومعروفة:

يقول الخبر إن حكيمًا من كوكب نبيبرو، وهو الكوكب الحادى عشر فى المجموعة الشمسية حسب الخبر، أرسل لفلكي مشهور في مصر رسالة. يؤكد الفلكي المشهور أن كوكب نبيبرو تخفيه ناسا. يبدو أن ناسا هذه لا عمل لها سوى إخفاء الحقائق عن الناس. "يعيش في نبيبرو قبل البشر، حكماء وعلماء حيث يمتدح النبى محمد والمسيح عيسى بن مريم وأنهم على الحق وأديانهم". وقال الحكيم للفلكي: "إلى أهل الأرض لاتخافون ولا تخشون من أحد لأنه لكم مكانا بيننا منذ ألفى سنة كان يلقى بكل من أمن بالمسيح فى عرين اسود في قديم الزمن".

لم أكن أعرف أن حكماء نبيبرو ضعفاء في اللغة العربية لهذا الحد، ولا يحذفون النون في فعل الأمر المقترن بواو الجماعة، وينصبون (مكانا) لماذا؟. ولماذا لا يضعون نقطة عندما يتم معنى الجملة؟

الرسالة كما قال الفلكي تضمنت "لماذا يخشون سخرية البدلاء؟ استهزاء الذين لم يفهموا شيئا وفضلوا الحفاظ على معتقداتهم البدائية"ثم يؤكد: "أن مايوجد بالقرآن الكريم قاله النبى محمد الذى هو موجود الآن.أن من عابهم (يقصد الأنبياء) سيعاد خلقهم ثم يأتون عقابهم وأن العقول الالكترونية التى تراقب الناس الذين لم يطلعوا على الرسالة مرتبطة بأنظمة تأخذ عند موتهم (اوتومكاتيكيا) وعن بعد الخلية التى تمكن من إعادة خلقهم إذا هم كانوا يستحقون ذلك، وإن هناك عقولا اليكترونية ضخمة تؤمن مراقبة متواصلة لكل الناس الذين يعيشون على الأرض". هل فهمت أي حرف من هذا الكلام؟ دعك من اللغة العربية الفظيعة فهي أقل ما نشكو منه. أرجو ألا يصلح المصحح لفظة (اوتومكاتيكيا) فقد نشرها الفلكي كذلك.

من حق الفلكي أن يجن، لكن ليس من حق الجريدة أن تنقل هذا الخبال، وهذا الخليط العجيب من الخيال العلمي والدين والتصوف. في مصر هناك شبسي بمذاق الخل، وهناك هلوسة لها مذاق ديني لتثير الرعب في قلوب من يعترض.

ماذا يحدث؟ هناك وباء عام من التخلف العقلي ينتشر. وفي كل يوم يصيب شخصًا آخر، ويسهل تخيل ما سوف نصير له لو استمر هذا عشرة أعوام أخرى.

أنتج عام ٢٠٠٦. وهو من الأفلام (Idiocracy تذكرت فيلمًا أمريكيًا رائعًا اسمه (ايديوكراسي الكوميدية الساحرة التي ظلمت ظلمًا شديدًا، لأن الشركة لم تعرض منه نسخًا كافية. وقد صار له حشد من الأتباع المجنونين به يتزايدون كل يوم.

كتب القصة والسيناريو وأخرج الفيلم مايك جادج. قام ببطولة الفيلم لوك ويلسون ومايا رودلف. اسم الفيلم لفظة مركبة تعني (حكم طبقة البلهاء).



يلاحظ الفيلم في البداية ملاحظة مهمة، هي أن الأشخاص ذوي معدل الذكاء المرتفع خصوبتهم منخفضة جدًا، بينما الأغبياء شديدو الخصوبة. في النهاية يتحول العالم إلى جنس من الأغبياء.

نحن في زمننا، وبطل الفيلم (لوك ويلسون) يتطوع لتجربة يقوم بها الجيش الأمريكي، ومعه عاهرة تتطوع لذات التجربة لأنها تريد الفرار من القواد الذي يطاردها. التجربة تقوم على إدخالهما في إحياء مؤقت لعدة قرون. ثم يفيقان ليريا مدى التقدم الحضاري والعقلي في ذلك الزمن. لابد أنه سيكون شيئًا مبهرًا.

على طريقة أرض خوف داود عبدالسيد - تمر الأعوام على النائمين. وينسى الجميع التجربة - فقط ليعودا للحياة بعد قرون عندما يحدث انهيار في جبل.

يكتشف لوك عالمًا مروعًا. جبال قمامة في كل مكان. الناس تمشي كأنها في غيبوبة ويلبسون ثيابًا مضحكة. يشربون سائلاً أخضر صناعيًا لأنهم يؤمنون أن الماء مشروب للحيوانات. لا أحد يعرف كنه هذا السائل لكنهم يرددون كالببغاوات عبارة (إنه يحتوي الأملاح المعدنية المهمة).

في المستشفى يذهب للممرضة ليشير إلى مكان الألم، فتدوس على أزرار رسمت عليها أعضاء الجسم. يدخل لطبيب متشرد يدخن سيجارة حشيش. ونكتشف أن لغة القوم انحدرت جدًا فصارت عامية من أسفل الأنواع.

الناس جالسة طيلة اليوم تشاهد برامج التليفزيون، وقد تم تصميم مقاعد تسمح بالحصول على الطعام وأنت جالس، كما تسمح بقضاء حاجتك في نفس المقعد. أما برامج التليفزيون فكلها دعابات سخيفة (على طريقة الكاميرا الخفية الحالية ودعابات رامز جلال) بالطبع .حيث تدور الحلقات كلها حول رجل يقع فوق مؤخرته، هكذا ينفجر الجميع ضحكًا رئيس الولايات .تعيش العاهرة أحلى أيام حياتها وسط هؤلاء الأغبياء، وتجمع ثروة المتحدة بلطجي أسود يلعب المصارعة، ويركب الدراجة البخارية ويعزف الروك، ويطلق البندقية الآلية إذا اعترض أحد على رأيه. الفكرة هي أن الرئيس يريد مقابلته لأنه عبقري، إذا حل لغزًا من ألغاز الذكاء التي يجيدها الأطفال. معنى هذا انه مهم لحكومته ويمكنه حل مشاكلها كلها.

الناس لا تفكر إلا في الجنس وبرامج المسابقات. الزراعة متدهورة تمامًا والأراضي جدباء لأنهم يسقونها بذلك السائل الأخضر اللعين.

الفيلم شديد الذكاء ومفعم بالسخرية. أنصحك ألا تفوته خاصة أنه يعرض في الفضائيات كثيرًا. على الأقل لترى صورة مما سنصل إليه بعد بضعة أعوام ما لم تتغير أساليب التعليم.

قبل أي محاولة لإساءة فهم كلامي، فأنا لا أهاجم ولا أشكك فيما فعله هذان الشابان، ولكني أطالب بإعطاء الخبر حجمه الحقيقي ... يعني لو كان صحيحًا فهما عبقريان لا مثيل لهما، ويجب أن يكون خبر هذا الكشف مدويًا وينالا جائزة الدولة التشجيعية. أما لو كان أكذوبة، الفكرة هي أن صديقًا عزيزًا طلب مني رأيي في كِليب معين على .فعلى الناس أن تعرف هذا يوتيوب، بعدها وصلني الكليب نفسه من أصدقاء عديدين. هنا شابان مصريان في سن المراهقة يتكلمان إنجليزيةً ممتازة، ويقولان أنهما قاما بدراسة موجات المخ الكهربية واستطاعا تحليلها، وبالتالي عرفا الموجات التي يمكنها تحريك الأشياء عن بُعد ... هكذا يمكنهما حل مشاكل المشلولين. يضع أحد الشابين سماعتين على رأسه ويفكر، فتتحرك سيارة صغيرة يمينًا ويسارًا حسب موجات أفكاره. يبدو أنهما نالا جائزة عن هذا الكشف في مسابقة للمخترعين الصغار. هذه الفكرة ليست جديدة، وهناك علماء كثيرون في اليابان وأمريكا وألمانيا يحاولون تنفيذها الآن، وقد رأيت تجربة أولى في التلفزيون. لكن هنا تبرز تمييز موجات الدماغ التي تتعلق بأوامر التحريك — وهي مهمة معقدة جدًّا :لنا مشاكل عدة تحتاج لعالم في وظائف الأعضاء، ثم تكبيرها ... ثم كيف يقرأ الشاب موجات دماغه — بمجرد وضع سماعة (هيدفون) عادية؟ قياس موجات الدماغ يتم عبر عدة أقطاب مثبتة حول الرأس. يتحدث الشابان كذلك عن فتح في «الميتافيزكس» أو ما وراء الطبيعة، وعن «التليكنزس» أو التحريك عن بُعد. هنا الكثير من الخلط،، فهما لا يعملان في مجال الخوارق، بل تفسيرهما فيزيائي، وما نراه ليس تحريكًا عن بُعد. كل هذا غمره الشابان في بحر من .الإنجليزية الجيدة، فلم يعد أحد يراه



هل هذا ممكن بهذه البساطة؟ وهل نجحا في تحقيق ما تحاول الشركات اليابانية العملاقة
تحقيقه بنجاح متعثر؟ من جديد لا أشكك قبل التأكد ... الشك بلا دليل شبيه بالتصديق بلا
دليل، ولن أجازف بتحمل مسئولية هدم عبقريين صغيرين. فقط أطلب من الدولة أن تُعنى
بهذا الكشف وأن يفحصه أساتذة فيزياء وأساتذة في طب الأعصاب والفسيولوجيا. لو كان
حقيقيًّا فهو كشف القرن، ولسوف يهتز العالم لما نقدر على عمله. لو كان أكذوبة وأحدهم
يحرك العربة بالريموت كونترول، فعلينا أن نعلن هذا.

التعليقات على الفيلم كانت إيجابية في معظمها، ومن تشكك في الفيلم هوجم بقسوة ...
لدينا استعداد فطري لتصديق أي شيء!

لكني بيني وبينك رأيت الكثير من قبل: قرأت في موقع إنترنت عن طالبة في الصف السادس
هناك افتراض مصري الابتدائي! تصل لعلاج السرطان ... طالب في ثانوي يصل لعلاج الإيدز
راسخ وساذج: إن المصري عبقري لكن ليست لديه إمكانيات، بينما الألمان واليابانيون
أغبياء لكن لديهم الكثير من المال! الحقيقة أن المصري ليس أذكى من الأجناس الأخرى

وليس أغبى، لكن نظم التعليم الفاسدة تؤذيه جدًّا. في مقال قديم لي قلت: «العقلية التي تصدق أي اكتشاف، هي عقلية غير قادرة على التوصل لأي اكتشاف!» نظم التعليم في مصر تنجب أجيالًا ممن يصدقون أي شيء.

هذا يقودنا لفكرة الاكتشافات المصرية عامة ... هذه الكشوف تابو مقدس يحرم الاقتراب منه أو التشكيك فيه. هذا نوع من الشطط بلا شك، وكما قلت: الشك بلا دليل شبيه بالتصديق بلا دليل، لكن الشك أقرب لروح العلم. وقد كان روبرت كوخ العظيم ألد أعداء نفسه؛ كلما توصل لكشف جديد كان يتصور أنه نصّاب وأن شخصًا آخر يجادله ويحاول أن يفضح كذبه. هكذا كان يوجه لنفسه أسئلة محرجة ويحاول أن يجيب عنها ... لو لم يُجب بشكل مقنع كان ينبذ الاكتشاف؛ والنتيجة: القضاء على الجمرة والدرن والكوليرا و... و...

يقولون: إنه لا كرامة لنبي في وطنه. هذا صحيح ... لكني أضيف تعديلًا بسيطًا، هو أن الكرامة والثروة وكل شيء لمدعي النبوة في وطنه! يصل أحدهم لكشف ما، ثم يسرع ليتوارى خلف جدار حصين، الجدار عبارة عن مقولات نسمعها كل يوم: «لن نتقدم أبدًا؛ لأن المصري لا يجيد ... النفوس وحشة ونحن نحقد على بعض ... عندنا العلم كله بس يا خسارة سوى هدم المصري ... الشركات العملاقة يهمها ألا تظهر هذه الحلول الرخيصة.» وراء هذا الجدار ظهر ألف علاج للسرطان وألف علاج للسكري وألف علاج للالتهاب سي. والويل لمن يجرؤ على التشكك أو يدعو للتعقل! إنه حاقد ومن حزب أعداء النجاح، ولا يجيد سوى الهدم. فقط يتكفل الزمن بأن يكشف الحقيقة بعدما يكون الناس قد أنفقوا الملايين وأحرقوا جبالًا من الأحلام.

لكن عندما يصل البعض لاكتشاف مهم فعلًا، فإن أحدًا لا يبالي به ... يقضون وقتهم بين مشاكل براءة الاختراع ووزارة البحث العلمي، وفي النهاية يقدمون كشفهم لشركة غربية تطير به فرحًا أو يموتون من الحسرة.

أكرر للمرة الألف: أنا لا أهاجم هذين الشابين، فلربما هما أفضل شيء حدث لمصر منذ هزيمة الهكسوس. أنا أطالب بدراسة الأمر بعناية ...

استجابة لمقال سابق عن مشاكل التعليم في مصر (أس البلاء) أرسل لي أحد الشباب هذا الخطاب الذي ألخصه هنا: «من منا راضٍ، وبكل أمانة، عن التعليم في مصر؟ هل السبب في الأشخاص؟ أم في المحتوى؟ أم الحلول هي فقط تعديل مصطلحات أداء المنظومة التعليمية وكادر المعلم وإعادة طباعة الكتب بعد إضافة بعض الفقرات؟ من نحن؟ نحن مجموعة من الشباب قادرون على إصلاح التعليم



في مصر بإذن الله. كيف؟ هو ليس سحرًا … تطوير التعليم علم يُدَرِّس ويُستَعمَل في الخارج، ، وله قواعد تُتبَع وأكثر من استراتيجية لتنفيذها، ونحن Instructional Design يطلق عليه وقد تم تدريبنا من قِبل خبراء مصريين وأجانب ADDIE. نقوم باستخدام استراتيجية ال على هذا العلم. أي نظام تعليمي يعتمد على العلاقة بين الطالب والمنهج والمدرس. نحن نقوم بإحياء المنهج وتوظيفه بما يتواءم مع متطلبات وإمكانيات الدارس والبيئة التي سوف يدرس بها، مثل: «المدرسة والأجهزة أو المعامل المتاحة له». أي منهج لا بد أن يخاطب الهدف من وراء تدريسه، وكيف سيستخدم الطالب هذا المنهج في حياته العملية. بعد أن نضع ذلك عين الاعتبار نقوم بزرع المنهج كتجربة داخل الذاكرة طويلة الأمد لدى الطالب. ويتحول المنهج إلى تجربة عندما يتفاعل الطالب معه، وعندما يدهشه بطرق لم يكن يتعامل بها من قبل مع أي معلومة يتم دراستها. فالشعر على سبيل المثال يتحول من فنٍّ راقٍ إلى لغة غير مفهومة باردة عندما يصبح ضمن المقرر الواجب دراسته، لكن مركز تطوير التعليم يضع الطالب في جو الشعر عن طريق فيلم قصير أو قطعة موسيقية معينة. إذا تكلمنا عن العلوم الحيوية، فإنها تتحول من صور غير واضحة وشرح معتم إلى فيديوهات تشرح بالتفصيل كيف تتم العملية الهضمية على سبيل المثال، وتدريب تفاعلي على جهاز الكمبيوتر لكيفية تشريح ضفدع أو جزء بشري مع الشرح، وقياسًا على ذلك مختلف المواد العلمية. للعلم، هناك الكثير من طرق التعليم التي قد لا تحتاج إلى مدرس، بل من الممكن الاستغناء عن الفصل كليةً، ويصبح جهاز الحاسب الآلي فقط — تعليم بيئة تعليمية — E-learning أو المتصل بالإنترنت)، تعليم ال (Computer Based Training ال متكاملة. وهو الاتجاه الذي تسير فيه نظم تدريبية في الخارج، ونحن قادرون على المضي فيه قدمًا.»

عن الـMMR والنصب وأشياء أخرى

لا كرامة لنبي في وطنه .. هي مقولة شائعة وصادقة بالتأكيد..

لا كرامة لنبي في وطنه .. موافق تمامًا. المشكلة الحقيقية هي أن النصابين يعرفون هذه المقولة جيدًا ويلعبون عليها بحكمة لاعتصار عواطف الناس. وهكذا يمكننا – دون خطأ كبير – أن نقول إن النبي الكذاب ينال أعظم المجد في وطنه، ولا يستطيع أحد مناقشته.

بما أنني أمارس مهنة الطب فقد عرفت عددًا هائلاً من هؤلاء العلماء النصابين ، الذين يمارسون كافة طقوس العلم الزائف بنجاح تام. ومن علامات العلم الزائف الشهيرة أن الطبيب النصاب لا يلجأ في عرض نتائجه العلمية إلى زملاء المهنة، بل يلجأ إلى الصحافة، وبما أن الصحافة غير متخصصة فهي تقبل ما يقوله وتنفعل. يمضي الرجل وعلى وجهه علامات المرارة مرددًا في كل مكان:

"للأسف لدينا العلم كله لكن لا كرامة لنبي في وطنه .. نحن نقبل ما يقوله الأجنبي بينما نعامل علماء وطننا العباقرة أسوأ معاملة".

هكذا تسيل الدموع وينفعل الجميع .. ويبصقون في وجوهنا – نحن الذين جرؤنا على التدقيق العلمي في اكتشاف هذا العالم - باعتبارنا مجموعة من الفاشلين الذين لا يهمهم سوى تدمير الناجحين. قال لنا مدير شركة دواء شهيرة إن شعار المصريين هو PHD ومعناها في مصر ليس (الدكتوراه في الفلسفة) بل (ادفعوه لأسفل Push him down). ربما كان هذا صحيحًا لكن النتيجة هي أن أي اكتشاف وهمي يمر في مصر ويجد من يدافع عنه في شراسة.

أذكر أن الأستاذ أحمد رجب الساخر الجميل كتب سلسلة مقالات يهاجم فيها الجهل المخيم على العقل العربي .. لقد زاره طبيب يؤكد أنه صاحب نظرية المناعة العربية - يعلم الله ما هي- وأقنعه أنه لا يوجد شيء اسمه الالتهاب الكبدي ج .. هذه خرافة اخترعتها الشركات المنتجة للانترفيرون لتجمع المليارات. انفعل الأديب الكبير وكتب عدة مقالات يؤيد فيها هذا الطبيب .. بالطبع لا يملك أحمد رجب أدوات القياس لخبر كهذا فهو غير متخصص طبيًا. أنا مثلاً لو قرأت خبرًا عن (اختراع ياباني لتحويل الضوء المستقطب إلى فلزات أيونية متناظرة يمكنها تشغيل السايكلوترونات بكفاءة) لصدقت الأمر بسهولة تامة.

في الثمانينيات كان هناك أستاذ جراحة شهير مولع بالشهرة. قال هذا الأستاذ إنه ذهب للكونغو وتوصل خلال شهرين إلى علاج الإيدز وأطلق عليه MM1. سبب هذا الاسم الغريب هو تملق طاغيتين هما مبارك وموبوتو حاكم الكونغو. ماشاء الله !... اكتشاف علاج الإيدز في ستين يومًا .. !.. من قال إننا لا نملك عباقرة ؟ بعدها أعلن أنه اكتشف علاج الروماتويد عن طريق حقن يعطيها في عيادته. جميل جدًا .. نريد معرفة تركيب هذه الحقن أو علاج الإيدز.

لكنه رفض بشدة لأنه يخشى مافيا الدواء ويخشى سرقة أفكاره. هكذا ثار المجتمع من أجل هذا العالم الجليل الذي سيرفع اسم مصر في المحافل الدولية، ولما حاولت جامعة القاهرة أن توقفه حفاظًا على مكانتها العلمية، خرجت كتيبة من الصحفيين في كل مكان تلعن أبا الجهل، وتلعن معاملتنا القاسية للعلماء بسبب الحقد، وترددت العبارة الكريهة (حزب أعداء النجاح).. وكان هناك أكثر من كاريكاتور رسمه مصطفى حسين في جريدة الأخبار للطبيب وقد حبسه رئيس الجامعة في غرفة الفئران ..

كان هذا الكلام في الثمانينيات .. وعندما عقد الرجل مؤتمرًا صحفيًا فقد خاطب الصحفيين ولم يخاطب الأطباء كما هي عادة العلم الزائف. وتجرأ العظيم يوسف إدريس على فضحه في مقال قوي جدًا، لكن الطبيب الشهير فضل الصمت لأنه يعرف أن حيلة (لا كرامة لنبي في وطنه) لا تفشل أبدًا .. فضل الصمت وترك القراء يردون ويتهمون يوسف إدريس بأنه عدو النجاح.

واليوم مر ثلاثون عامًا على هذه القصة .. السؤال هو: أين هذا العلاج العبقري لداء الإيدز؟.. العلاج الذي أقنع الناس بوجوده لدرجة أن فتى يعتقد أنه جيمس بوند هاجم الفيلا،وقيد الطبيب وزوجته والخادمة وهددهم بالقتل إن لم يسلموه أوراق بحوث الإيدز !

على كل حال وصل الطبيب للعالمية فعلاً، فقد خصصت مجلة فرنسية عددًا خاصًا عن النصابين أدعياء العلم .. فكان هو أول اسم في القائمة !..كتب الأستاذ إبراهيم سعدة مقالاً كاملاً عن هذا، وهكذا دخل اسم مصر المحافل الدولية بسهولة !

تاريخ الطب في مصر مزدحم بأمثال هذا الرجل . ونحن نعرف هوجة العلاج بالإنزيمات وهوجة الأعشاب الطبية التي تشفي الالتهاب الكبدي ج ..وهوجة الحجامة من غير أساس علمي.. وهناك حشد من الأدوية التي لا قيمة لها، لكن مبتكريها يعرفون كيف يفوزون برضا الصحافة .. والصحافة تكتب عن العبقري المظلوم الذي ضاع حقه في بلد الجهل هذا .. فإذا رفضت وزارة الصحة أبحاثه فلأنهم بالتأكيد قد تقاضوا مبالغ طائلة من شركات الأدوية .. الخ ..

ننتقل الآن إلى العالم الخارجي لنرى واحدة من أشهر حالات اضطراب الرؤية في تاريخ الطب .. السبب هو طبيب آخر عرف العالم مؤخرًا أنه نصاب،وهو بريطاني وسيم أنيق يدعى (أندرو ويكفيلد).

أنت تعرف أن الأطفال يأخذون لقاحًا ثلاثيًا مهمًا للوقاية من التهاب الغدة النكفية ومن الحصبة ومن الحصبة الألمانية .. يطلقون عليه MMR.

في العام ١٩٩٨ ظهرت دراسة في مجلة بريطانية محترمة هي (لانسيت). تزعم هذه الدراسة أن هذا اللقاح يسبب داء التوحد Autism الرهيب. زعم ويكفيلد أنه لاحظ الأطفال الذين تلقوا لقاحMMR وكيف ظهرت عندهم أعراض داء التوحد بعد ١٤ شهرًا، مع مرض غريب وصفه لأول مرة وأطلق عليه التهاب القولون المتوحد. وقد اقترح أن السبب هو اللقاح الثلاثي ورأى أنه ربما كان من الأنسب أن يتم إعطاء كل لقاح على حده.

مجلة لانسيت مجلة محترمة لها قوانين صارمة للنشر، وأنا شخصيًا ممن يعتبرون كل حرف ينشر فيها حقيقة لا تقبل الجدل. لاحظ أن هذا الرجل جريء ولا يتصرف كالنصابين .. لم ينشر في جريدة شعبية أولاً، وإنما دخل معقل الأسد: مجلة (لانسيت) شخصيًا حيث يربض العلماء المستعدون للالتهام.

من وقت لآخر تثار أسئلة كثيرة حول اللقاحات، خاصة تلك المادة التي تضاف للقاح لزيادة مساحة سطح المادة المستضدة وفعالية اللقاح. المادةتدعى Adjuvant . مثلاً في فوضى انفلونزا الخنازير، صار من المعتاد أن تفتح صندوق بريدك لتجد تحذيرًا من وزيرة الصحة الفنلندية – وهي ليست وزيرة صحة فنلندية - أو من امرأة تدعى سارة ستون .. كان الخوف

يتركزعلى مادة السكوالين التي اتهموها بكل شيء تقريبًا، والأهم أنهم قالوا إن ضررها لنيظهر قبل عشرة أعوام (هكذا تظل قلقًا للأبد).

عامة هناك دومًا حملة من الرفض المجنون للقاحات الإجبارية عند الأجانب غير الأطباء ، باعتبارها تقحم أشياء صناعية على الجهازالمناعي، وتعتدي على حريتك في الاختيار . يقولون إن الأمراض التي يتلقى الطفل اللقاح ضدها صارت نادرة أصلاً، وهو تفكير شديد الغباء .. لقد صارت نادرة بسبب اللقاح طبعًا يا حمقى، ويكفي أن يتوقف الناس عن استعمال لقاح شلل الأطفال لبضعة أعوام ويروا النتيجة !

نعود لبحث الأخ ويكفيلد. فيالعام ٢٠٠١ بدأ يزداد حماسًا، فزعم أنه وجد أجزاء من فيروس الحصبة في أنسجة الأطفال المصابين بالتوحد .. نشر أوراقًا علمية أخرى واتهم مادة الثمروز الموجودة في اللقاح بأنها المتهمة. وهكذا بدأت الصحافة تكتب بحماس عن اللقاح، وقلت ثقة المريض الإنجليزي به ..

كانت النتيجة هي أن كل أولياء الأمور أصيبوا بالذعر ..أولاً كل الآباء الذين لديهم أطفال مصابون بالتوحد طالبوا بتعويضات من الشركات المنتجة للقاح .. ثانيًا أحجم آباء كثيرون عن إعطاء لقاح لأطفالهم .. والنتيجة هي أنك تترك طفلك بلا حماية أمام ثلاثة أوبئة مرعبة؛ هي أبو كعب (التهاب الغدةالنكفية) والحصبة والحصبة الألمانية. والحقيقة أن معدلات الإصابة بهذه الأوبئةارتفع جدًا في إنجلترا وإيرلندا.

الصحافة ووسائل الإعلام تلعب دورها المشئوم الدائم، وهو أنها أعطت أبحاث ويكفيلد أهمية أكثر مما تستحق. هكذا قل عدد من يعطون اللقاح لأطفالهم. لاحظ الأطباء فيما بعد أن الحصبة زادت لكن التوحد لم يقل بتاتًا.. برغم انخفاض استعمال اللقاح.

هنا نضع خطًا مهمًا .. اللقاح قد يسبب التهابًا في المخ .. هذا صحيح .. لكن نسبة الالتهاب واحد في المليون. أما الحصبة فتسبب التهابًا بنسبة واحد في الألف !..حسبة بسيطة جدًا ..

في العام ٢٠٠٦ انخفض استعمال اللقاح في إنجلترا إلى ٦٠٪ وهو رقم مخيف لا يكفي لمنع الأوبئة. تأمل ما يعمله العلم الزائف .. قبل صدور المقال كانت حالات الحصبة فيانجلترا ٥٦ حالة .. بعد المقال صارت حالات الحصبة ١٤٥٠ حالة !... وللمرة الأولى منذعام ١٩٩٢ يموت طفل بالحصبة .. أما عن داء أبي كعب فقد اكتشفت بريطانيا أنها تواجه وباء حقيقيًا منه عام ٢٠٠٥ .. وللمرة الأولى كذلك يعلن أن الحصبة صارت مرضًا متوطنًا في بريطانيا بعد عشرة أعوام من عدم إعطاء اللقاح. يخيل لي أنهم لو أعدموا هذا الويكفيلد لكان هذا عادلاً.

لقد أثبتت التحقيقات التي أجراها طبيب اسمه برايان دير، مولته جريدة صنداي تايمز، أن البحث ملفق وأن الرجل نصاب .. تلاعب بالأرقام والتواريخ وكلام الآباء ليناسب غرضه. ثم تبين أنه عرض أطفالاً يعانون تخلفًا عقليًا إلى إجراءات بحثية عنيفة لم يوافقوا عليها؛ مثل منظار القولون وعينات النخاع. هذا ما اكتشفه المجلس الطبي البريطاني. تم شطب ويكفيلد من سجل الممارسة الطبية عام ٢٠١٠. تمت إعادة اختبار اللقاح في عدة مراكز، وكانت النتيجة واضحة هي أنه لا توجد علاقة بينه وبين داء التوحد. هكذا وصفت الجريدة البريطانية الطبية الأمر بأنه"أسوأ خدعة طبية في تاريخ العلم". أما مجلة لانسيت فقد سحبت المقال من سجلاتها. برغم هذا كله ما زالت الصحف وبرامج التلفزيون والإنترنت مستمرة في تأكيد تخاريف ويكفيلد. إنها مجال خصب ممتاز لهواة نظرية المؤامرة الذين يفضلون التعاملمع العواطف بدلاً من الحقائق.

لاحظأن لقاح MMR ليس إجباريًا في مصر ولا إنجلترا .. أي أن إعطاءه قرار خاص بالأبوين، وتحاول إنجلترا حفز الآباء على إعادة استعماله حاليًا عن طريق زيادة تكاليف التأمين الصحي على الأبوين اللذين يرفضان تطعيم ابنهما ..بمعنى (أنتما تعرضانه للخطر .. ليكن .. ادفعا إذن وأنتما تبتسمان).

يقيم ويكفيلد حاليًا في الولايات المتحدة وهو ممنوع من ممارسة الطب في إنجلترا وفي الولايات. انتخبوه كأسوأ طبيب في العالم لعام ٢٠١١ .. كما اختاروه ليرأس قائمة الأطباء النصابين.

لكن امثال ويكفيلد لا يقنطون أبدًا .. لديه حيلة (لا كرامة لنبي في وطنه) الشهيرة ..ولديه حب الناس للشك والمؤامرات .. ولديه صيغة (لقد عم الجهلاء .. فليسكت الحكماء). لهذا يحظى بشعبية لا بأس بها ويعتبره الكثيرون بطلاً، وهو يعلن دومًا أن هناك مؤامرة ضده من السلطات الصحية و شركات الأدوية .. ويؤكد أن كل التقارير عن انتشار داء الحصبة ملفقة للنيل من سمعته العلمية.

أرجوأن تتذكر هذا المقال عندما تقابل النصاب التالي ......

تعالوا ننخدع من جديد

3 articles

تعالوا ننخدع من جديد – ١

مازلنا إذن فى الجو الطبى العام الذى يضوع بروائح (السافلون) والمطهرات وانفلونزا الخنازير. فى البداية أقدم هذا التعليق القصير الذى أرسله أ. د (حمدى صدقى) أستاذ مساعد الجراحة بطب طنطا، وهو يعلق على أو يستكمل معلومات المقال السابق الذى تحدثت فيه عن مسلسل موت الأطباء بمرض تنفسى غامض، وهو هنا يناقش نقطة (إذا مرض الطبيب فأين يعالج ؟):

«قرأت مقالك (هبوط حاد) وهو ما أوحى لى بأن أكتب اليك. منذ خمس سنوات توفى زميل لنا مدرس بقسم الجراحة اسمه د.محمد الطباخ -رحمه الله- وصل المستشفى الجامعى فى حالة تعفن دموى لم نعرف مصدره، وطبعا لأن مستشفى الجامعة وطنطا كلها ما فيهاش عناية مركزة حقيقية تم تحويله لقصر العينى الفرنساوى وراح ما لقاش مكان فى العناية وطبعا رفضوا استقباله، وفي طريق عودته توفى مريض بعناية قصر العينى والمستشفى اتصلت بهم، فرجع القصر العينى ودخل العناية ليموت فى نفس الليلة. نفس المأساة تكررت

يوم الخميس الماضى ٩-٢-٢٠١٤ مع زميل آخر اسمه د. عمرو الشناوى -رحمه الله- مدرس م. بقسم الجراحة أيضًا كان عمل زرع نخاع من ٤ شهور ونجح الزرع لكنه مات من نزف شديد فى القناة الهضمية والشرج. ولأن طنطا كلها برضه ما فيهاش عناية مركزة واحدة كويسة ولأننا فشلنا نجيب له لا دكتور أمراض دم ولا دكتور عناية ولا دكتور مناظير قناة هضمية ولا لاقيين منتجات دم كافية وطبعا ما فيش إمكانية لعمل حقن بالصبغة لشرايين المساريقا، نقلناه معهد ناصر اللى عمل فيه الزرع ورغم الترتيب مع المعهد لكنه راح ما لقاش مكان فى العناية فراحوا القصر الفرنساوى ما لقاش مكان، وفى الآخر توفى فى مستشفى خاص فى القاهرة»

هذا هو خطاب د. حمدى، وهو خطاب مرعب.. هنا نناقش نقطة أخرى غير المقال السابق. لا نتكلم عن عدوى تنفسية غامضة، بل نتكلم عن مصير الطبيب التعس إذا مرض، وهى ليست مشكلة خاصة بالأطباء فقط. فإذا كان هذا يحدث للطبيب فماذا يحدث للمريض الفقير العادى؟.. لو كان الخباز لا يتذوق الخبز، فماذا عن عامة الشعب؟ ليرحم الله د. محمد الطباخ ود. عمرو الشناوى اللذين دفعا ثمن تراكم أخطاء ثلاثين عامًا.

ننتقل الآن إلى موضوع طبى آخر، هو أن وزارة الصحة أغلقت مركزًا شهيرًا لعلاج الأعشاب وأحالت مالكه -وهو نجم فضائى ساطع- إلى النيابة العامة. هذه خطوة تأخرت كثيرًا جدًا لكنها تمت على الأقل. لن أذكر اسم المعالج فليس غرضى أن أشهر به، ولكن أشهر بنمط سلوكى عام، وأعرف أن النصاب التالى يستعد ليظهر لنا خلال عام فلن تحدث الأسماء فارقًا.

الحقيقة أن هؤلاء المعالجين على غير أساس علمى يتكاثرون كالبراغيث.. تخلص من واحد فيظهر واحد آخر، وفى كل مرة يلدغ الناس من ذات الجحر ألف مرة. شعار «رزق الهبل على المجانين» قد استوعبه هؤلاء القوم حتى النخاع، وهو مصدر رزقهم وحياتهم وكل مليم فى جيوبهم. تذكرون بالطبع ذلك المدلك الذى زعم منذ أعوام أنه خبير فى الطب البديل، وفضحه د. خالد منتصر على الفضائيات.. انتهت هذه الهوجة بعد ما جمع الرجل عدة ملايين طبعًا. ثم من جديد يظهر معالج آخر ويجمع ملايين أخرى ويصير نجم الفضائيات الجديد، وله مراكز فى كل الجمهورية. ليس العيب فيهم.. بل فينا.. فنحن لا نملك أى نوع من الذاكرة. المعالج الأخير بائع الوهم هو صيدلى يقوم بالكشف على المرضى والعلاج بالحجامة والأعشاب. تقول الوزارة: «بتفتيش مقر الشركة تبين وجود تدريب لبعض العاملين بالشركة على الحجامة مقابل راتب قدره ٨٥٠ جنيها، وهو ما يخالف القانون رقم ٤١٥ لسنة ١٩٥٤ الخاص بتنظيم مزاولة مهنة الطب البشرى، كما عثر على «كول سنتر» به حوالى ٥٠

فتاة تقوم بالرد على المتصلين وتحديد المندوب الذى يقوم بتوصيل الأعشاب والرد على الاستفسارات الطبية. كما رصدت الإدارة المركزية للمؤسسات العلاجية غير الحكومية والترخيص عدد من المخالفات لـ(.....)، مثل ظهوره بالإعلام دون الحصول على موافقة وزارة الصحة طبقا للقانون رقم ١٥٣ لسنة ٢٠٠٤، إضافة إلى وجود العديد من المواطنين داخل مركزه للعلاج بالحجامة والأعشاب، ووصفه وبيعه مستحضرات طبية مخالفا بذلك القانون رقم ٤١٥ لسنة ١٩٥٤ الخاص بمزاولة مهنة الطب البشرى وقانون الصيدلة رقم ١٢٧ لسنة ١٩٥٥». على كل حال هناك تاريخ طويل من ملاحقات وزارة الصحة لهذا الطبيب، وفى كل مرة يعود لممارسة المهنة، ويقال إنه (مسنود) مثل توفيق عكاشة بالضبط.

التحق الرجل بإحدى كليات الصيدلة الخاصة أولاً بمصاريف ٣٥ ألفًا فى السنة، وفيما بعد زعم أنه متخصص فى الصيدلة الإكلينيكية وأنه حصل على علامة الأيزو. هل هناك علامة أيزو للعلاج بالأعشاب؟

الرجل له شركة أدوية كبرى فى ٦ أكتوبر، كأنه شركة فايزر أو روش أو ميرك مثلاً.. لاحظ أحد الصيادلة الذين عملوا معه واستقالوا أن كل العاملين فى مركز الاتصالات كانوا يردون على الهاتف على أنهم الطبيب نفسه. معظم العاملين فى الشركة هم من أقارب الطبيب وبلدياته ليضمن ولاءهم. ليس هذا فحسب، فالصيدلى المذكور يطلب من المريض أن يحضر الأبحاث والآشعة.. هذا ليس من حقه قانونًا، ويحصل على مبلغ مالى (٢٠٠ جنيه) مقابل الفحص. قال هذا الشاهد إن الرجل كان يضع أى أعشاب فى كيس ويبيعها بـ ١٥٠ إلى ٣٥٠ جنيهًا.. ثم تأتى عملية نصب أخرى ممن يتلقى الطلبية، فهو يبتاع أى أعشاب من العطار ثم يبيعها للزبون على أنها الطلب الذى اتصل من أجله.. أى بـ ٣٥٠ جنيهًا. أى أن هناك من نصب على النصاب. كل الخلطات السرية تتم تحت السلم. على كل حال يمكننا تخمين نوعية هذه الخلطات. دائمًا هى تحوى كمية هائلة من أقراص الكورتيزون المسحوقة.. أقوى مسكن للالتهابات وأخطر سم عرفه علم الدواء. الكورتيزون قادر على عمل المعجزات، ولكن ما هى التكلفة فى غياب طبيب يعرف ما يفعله؟. لابد أن تحوي الخلطة الكثير من العناصر المهيجة موضعيًا Counterirritant.. أى أنها تحدث تهيجًا فيقل الألم، وهى حيلة قديمة كان جدك يمارسها عندما يستخدم كئوس الهواء الساخن، وكان أبوك يستخدمها عندما يدهن (الفيكس). الخلاصة: هناك راحة لكن لا شفاء.

قريبى جرب التعامل مع هذا الطبيب فعرف أن الكشف ثمنه ٢٠٠ جنيه أما ثمن المرهم الذى سيدهن به ركبته ٥٠٠ جنيه. برغم هذا اشترى المرهم فعلاً، وأعلن فى فخر أن الشفاء تم

والحمدلله وأنه يشعر براحة لا شك فيها.. بعد أسبوع سألنى عن طبيب جيد يحسن شفاء خشونة الركبتين!. قلت له فى غيظ: «ألم تشف بعد بالأعشاب والحمدلله؟». لم يتكلم.. لا أحد يعترف بأنه نصب عليه أبدًا. هذه قاعدة مهمة.

كلما تم القبض على واحد من هؤلاء تطوع عدد من القراء بقول إنهم ذهبوا لهم وظفروا بالشفاء. لماذا تحاربون النجاح أيها الحاقدون؟.. هناك نمط آخر يردد: لو كان المرضى قد ظفروا بالشفاء مع الطب لما ذهبوا له. وهذا منطق غريب.. كأنه لابد من إنفاق كم معين من المال.. إن لم تنفقه على الطب الفاشل فلتذهب لتنفقه لدى النصابين. إذن لماذا لا تبقى مالك معك؟

للحديث بقية طبعًا، لأننى عندما أبدأ الكلام عن الطب المزيف أجد صعوبة فى التوقف

تعالوا ننخدع من جديد – ٢

السكرى – السرطان – انفلونزا الخنازير) -صار الكلام عن علاج (السى – الايدز – الصدفية المصرى الجديد مملاً من كثرة ما كُتب عن الموضوع، لذا سأكتفى ببعض الملاحظات المتفرقة ثم أغلق الموضوع لننتقل إلى ضرب آخر من العلم الزائف.

1 معظم الناس أدركوا أن موضوع العلاج هذا يشوبه الكثير من الشك، لكن هناك من هناك .أصروا بعناد على أنه شيء رائع، حتى بعد ما قدم الكثيرون ادلتهم العلمية الأمريكى يشرح على يوتيوب سبب الشكوك MIT باحث فيروسات مصرى فى معهد التى تنتابه. إنه ينكر حتى وجود جهاز للتشخيص برغم أننى أعارضه فى هذا الرأى. فوجئت بالشتائم تنهال عليه ويتهمونه بأنه عميل للأمريكان والإمبريالية العالمية . مستحيل كل هذا العناد الذى يورث الكفر. البعض لا يريد أبدًا الخروج من دائرة الأهلى والزمالك والتعصب الأعمى حتى لو كان الحق كالشمس .. كل شيء عندنا يتحول إلى و(الرِف موالس معاهم) و.. ثم تكسير مقاعد وقذف (مباراة كرة قدم و(حرقنا دمهم فإذا جاء ٣٠ يونيو دون أن يحدث شيء أو يشفى الجميع، .شماريخ ومطاوى قرن غزال سيقولون إن العالم كله والطوابير الخامسة حاربوا ..فلن يشعروا بلحظة خجل

الاختراع المذهل من أجل شركات الأدوية، وسيزداد شعورهم بالبارانويا وأن العالم كله ضدنا. كلما فشلت تجربة لأنها فاشلة قالوا إن السبب أن هناك من أفشلها .. هل تذكر شركات توظيف الأموال التى ظل الناس يرثونها ويشتمون الحكومة، حتى بعد ما هرب بعض أصحاب الشركات بمال المودعين، وسجن بعضهم، وتبين أنه لا يوجد مشروع واحد من تلك المشاريع التى يعلنون عنها؟. كانت الحكومة على حق تمامًا فى قرارها وقتها، لكن الناس قالت: «أصل الحكومة يا سيدى مش عاوزة اقتصاد إسلامى .. ولا دولة إسلامية !».. اليوم تغيرت الجبهات لكن المبدأ واحد

عصام حجى المستشار العلمى للرئيس فقال لجريدة الوطن: «إن الاختراع .تكلم د 2 غير مقنع وليس له أى أساس علمى واضح من واقع العرض التوضيحى للجهاز، الذى أذيع فى القنوات التليفزيونية، إضافة إلى أن البحث الخاص بالابتكار لم ينشر فى أى دوريات علمية مرموقة» . رجل محترم يحب مصر ويحترم جيشها فعلاً، انبرى النائب السابق محمد أبو حامد قائلاً فى حماس على تويتر: «أتعجب من التصريحات العدائية لعصام حجى المستشار العلمى المؤقت للرئيس المؤقت المقيم بأمريكا والتى انتقد فيها العرض التوضيحى لاختراع الجيش.. يجب على الرئيس عدلى منصور أن يراجع مواقف مستشاريه بعد أن أصبحت تصريحاتهم ومواقفهم تثير اشمئزاز الشعب وتعبر عن سوء نيه متعمدة». هذا هو ما أتكلم عنه. كل من يجرؤ على الكلام بشكل علمى وسط هذا السيرك يُحرق ويمزق، لكن على فكرة الشعب لم يشمئز هذه المرة .. اللقمة أكبر من أن يتم ابتلاعها بسهولة. ولسوف يدفع باحثونا ثمن هذه الفضيحة غاليًا عندما يحاولون نشر أبحاثهم فى دوريات عالمية، أو حضور المؤتمرات المرموقة فى .الخارج

يحكى هيكل عن زيارة الزعيم عبد الناصر للاتحاد السوفيتى أيام مفاوضات حائط 3 الصواريخ. يقول إن الحكومة السوفييتية رتبت لناصر مع وزير الخارجية رحلة صيد فى فوجئ ناصر أنه كلما ألقى بالصنارة خرجت بسمكة .. فأدرك أن هذه بركة .بركة مغلقة معدة بعناية لتكون كثيفة الأسماك إكرامًا للرؤساء الضيوف، فقال لوزير الخارجية فى ملل: «هيا بنا نرجع .. هذه بركة سياسية !». نفس الشيء ينطبق على موضوع علاج الفيروس سى .. لقد جعلوها قضية سياسية وليست علمية، ولهذا صار كل من .. يعترض أو يبدى الشك عدوًا للجيش وطابورًا خامسًا كالعادة

كتب كثيرون عن الاكتشاف، وكما قلت هم يخلطون بين التشخيص والعلاج بشكل _4 بعضهم يملك خلفية طبية ولن يرتكب هذا الخطأ إلا عمدًا. هناك طريقة .عجيب يعرفها الباحثون فى دس الصواب مع الخطأ .. مثلاً تقول فى نفس الجملة: «من المعروف أن التهاب الكبد سى مرض خطير جدًا (وتذكر عشرات المراجع العالمية



والجرجير يشفى هذا المرض تمامًا (وهنا لا تذكر مراجع، أو تذكر مرجعًا باهتًا (الرصينة نشر فى مجلة صربية لا يعرفها أحد)». النتيجة هى أن من يقرأ يستنتج أن الجرجير !يشفى التهاب الكبد سى بشهادة مراجع علمية محترمة جدًا

5 الجزء الخاص بالتشخيص صحيح، لكن الدعاية الصاخبة حولته إلى نوع من ألعاب الحواة .. هل ينتقل فيوس سى بمصافحة المريض أو لمس ثيابه؟.. هذه حقيقة علمية جديدة!.. وهل الجهاز حساس لهذا الحد المرعب؟.. لو كان الأمر كذلك فهذا يجعله بلا وكل specificity تأتى على حساب الخصوصية sensitivity قيمة، لأن زيادة الحساسية لو مر الجهاز جوار زجاجة زيت تموين .باحث يعرف أن هذا معناه أن الاختبار لا قيمة له Dowsing لقال إنها مصابة بالفيروس. دعك من أن موضوع الإيريال يذكرك بسحر الماء وهى تلك العصا التى يحملها السحرة ويمشون بها وينتظرون ان يهتز طرفها ليشير .لمكان الماء تحت الأرض

6 كما قلت فإن وضع الجيش فى قضية علمية تحتمل الخطأ والصواب خطر فعلاً. هنا الأمر علمى يحتمل المناقشة والصواب والخطأ .. الفيروس لن يتصرف بالأمر وإلا صار عميلاً لأمريكا وقطر.. ومن يعجز الجهاز عن شفائه ليس من الاخوان. ما لا يستطيع هؤلاء فهمه أن الغيرة على الجيش والحرص على صورته أمام مواطنيه والعالم هما سبب هذه الشكوك؛ لكن ضيق الأفق يمنع المرء من رؤية الشمس. منذ عامين – أيام المجلس العسكري–ظهر رجلان يزعمان أنهما كانا سمسارين أوفدهما مبارك لشراء ماس من جنوب أفريقيا، وقد جلبا معهما ماسة من الذى اشترياه من هناك. ظهر الرجلان على قناة المحور مع اهتمام (إعلامى) من إياه. أولاً منظر الرجلين لا يوحى البتة بأنهما رجلا أعمال يستخدمهما رئيس جمهورية لشراء الماس له، ثانيًا بمجرد أن كبيرة .ترى الماسة تدرك أنها قطعة كريستال سرقها أحدهما من نجفة صالون أمه جدًا بحجم قبضتك ومصقولة.. على ما أعتقد أن الكوهينور هى أكبر ماسة معروفة وهى بحجم البيضة. كان سؤال واحد لأى جواهرجى قبل التصوير كافيًا كى يخبرهم أن الرجلين نصابان، لكن البرنامج يريد أمسية مثيرة بأى ثمن. كل هذا مفهوم، هنا تنتقل الكاميرات لباب الستوديو لترينا على الهواء مدرعات الشرطة العسكرية تنتقل لتؤمن المكان ضد سرقة (الالماظة)، واللواء حمدى بدين شخصيًا جاء يشرف على العملية. هذا المشهد آذانى جدًا .. إقحام الجيش المصرى فى هذا السيرك لم يكن له داع أبدًا، وكما قلت كان رأى جواهرجى واحد كافيًا لإنهاء القصة كلها. وطبعا أعلن البرنامج فى اليوم الثانى أن الماسة ليست ماسة بل قطعة كريستال من نجفة صالون. .اليوم هناك ماسة من نوع آخر .. وبرضه يتم إقحام الجيش فيها

7 هكذا يمكنك أن ترى أن هذه حالة استقطاب أخرى تضاف لما نعانيه. الوضع سيئ



لدرجة الكوابيس، لكننا نعود فى كل مرة لنؤكد أن مشكلة مصر الأولى هى التعليم. الناس لا تفهم روح العلم جيدًا . يجب أن يكون هناك منهج واضح لطرق البحث العلمى وتصميم الدراسات يضاف لمناهج المدارس. وليكونن هذا المنهج أهم بكثير من الفلسفة والتربية القومية، وكل الكلام الفارغ الذى يحشون به عقول التلاميذ ليسكبوه على الورق وينسوه بعد ربع ساعة من مغادرة اللجنة

تعالوا ننخدع من جديد – ٣

رتب زميل عزيز أن تتم التجربة أمامنا فى القسم الذى نعمل فيه. جاء شاب ريفى محترم على قدر من الثقافة، وقال لنا إنه لم يصدق الأمر حتى جربه بنفسه، وهو لا يريد أجرًا بل يفعل هذا طلبًا للثواب.. الحمام حسب كلامه يشفى التهاب الكبد سى بمجرد وضعه لفترة على بطن المريض، وقال إن الأمر يحتاج إلى بضع جلسات.. فى البداية تموت خمس حمامات. ثم يقل العدد مع الوقت لأن الحمام يمتص السم كله.. تشق بطن الحمامة فتجد أن كبدها قد تليف من فرط ما امتصه من فيروسات. حتى يأتى اليوم السعيد الذى لا تموت فيه الحمامة.. هذا يوم انتصار العلاج الشعبى على الطب.

قال إنه أجرى التجربة غير مصدق، ثم أجرى اختبار PCR الذى يشخص التهاب الكبد سى فوجده قد صار سلبيًا. طبعًا لم نصدق حرفًا لكن الفضول كان شديدًا وأردنا فعلاً أن نفهم ما يفعله، من منطق (آدى الجمل وآدى النخلة). حلق بالموسى الريش عن بطن الحمامة وحلق الشعر عن بطن مريض جاء معه، ثم وضع الحمامة على بطن المريض ملاصقة له وراح يضغط ويضغط والكائن الصغير البائس يجاهد كى يتنفس.. فى النهاية لم تتحمل وماتت خنقًا.. قال لنا فى ثقة إن سبب موتها هو امتصاصها للفيروس. ثم ذهب بالجثة إلى الحمام وشق بطنها ليرينا الكبد.. لم يكن متليفًا طبعًا ولا يمكن أن يتليف بهذه السرعة، لكن كل شيء كان مهشمًا كأن قطارًا دهم الحمامة.. كل شيء محتقن دام.. بدا لبعضنا أن هذه ألعاب حواة لا تليق بمكان للعلم، أما أنا فرأيت هذه تجربة مهمة لأنها ترينا رأى العين ما يحدث فعلاً فى الريف.

بعد أسبوع جاء هذا الشاب وقال لنا باقتناع حقيقى أنه

اكتشف أن هذا كله هراء ولا يشفى أحدًا ، والأهم أنه اكتشف أن اختبار PCR الخاص به ما زال موجبًا.. كان منذ أسبوع واحد شديد الاقتناع. لكن يجب أن نعترف أنه تصرف بحسن نية ولم يطلب الكسب، بينما كان الريف يعج وقتها بمن يبيعون ألعاب الحواة هذه.

قالت لى طبيبة مهمة فى الطب الوقائى بوزارة الصحة إن هؤلاء النصابين أدوا لندرة الحمام وارتفاع سعره فى كل قرى الغربية.

تذكرت على الفور ساحرًا أفريقيًا كنت أراه فى برنامج د. مصطفى محمود الجميل (العلم والإيمان). كان يسقى الكتكوت من قنينة سم.. بانتظار أن يموت.. لو عاش لعاش المريض ولو مات فالمريض حالة ميئوس منها. وبلغة د. مصطفى الساخرة: «يا كتكوت يا كتكوت.. حتعيش والا حتموت؟». عندما ترى هذا فى مجاهل أفريقيا فقد تقبله، لكن أن ترى الشيء نفسه فى مصر فى القرن الواحد والعشرين فالأمر يحطم الأعصاب فعلاً

بعد هذا كان علينا أن نتحمل عيادات العلاج بالأوزون والآشعة فوق الحمراء وتحت البنفسجية والعلاج بوضع المرضى تحت هرم.. وفى كل مرة يؤكد لك مريض متحمس أن هذه الطريقة ناجعة. ثم يكتشف المرضى أن هذا هراء وينسون الأمر. بعد هذا جاء العلاج بالأعشاب.. كل طبيب كان لديه كيس غامض مليء بأعشاب حضرها بنفسه ولا يعرف أحد تركيبها، يبيعه بمائتى جنيه للطوابير التى تتردد على عيادته.

لقد أدى التهاب الكبد سى إلى انتعاش تجارة الأراضى والعقارات فى مصر وأدى لإثراء جيل كامل من الأطباء والنصابين. كان هناك نوع من الأعشاب (خيار الثعبان) أعلن مركز البحوث أن نتائجه مذهلة، وسوف يعلنها فى – وهى مصادفة عجيبة – ٣٠ يونيو. والتزم الصمت تمامًا حول أى تفاصيل عن الأمر. كان هذا فى أواخر التسعينيات. يومها قال أحد أساتذة الكبد العظام لنا: «أراهنكم ان ٣٠ يونيو بتاعهم ده مش جاى أبدًا!». بالفعل.. لم يعلنوا أى شيء حتى هذه اللحظة.

ثم ظهرت موضة العلاج بالإنزيمات.. ثم ظهرت الحبة الصفراء DDB التى تكلمت عن روعتها الركبان، وكان الطيارون يجلبونها معهم من الصين ليبيعوها بسعر الذهب فى مصر، وقالت

وزارة الصحة إنه رائع. استغرق الأمر وقتًا طويلاً حتى يتضح أنه عقار بلا جدوى، واكتشف العلماء الحقيقيون أن العقار يضلل نتائج المختبر. أى إنه يعطى نتائج خاطئة توحى بالتحسن.

ثم جاء العلاج بالكفتة، وهو موضوع عرفه الجميع. كتب أحد المعلقين على الإنترنت (بالحرف الواحد وبلا علامات ترقيم) مبديًا انبهاره بجهاز علاج الإيدز والالتهاب الكبدى سي: «انا مصرى وافتخر شيء مزهل عندم يخترعو المصرين هذا الجهاز انا فى قمه فخرى ببلدى مصر تعيشى يا بلدى وتزهلى العالم (دئما نصنع التاريخ)» الحماس الوطنى شيء جميل بشرط ألا يتحول إلى شوفينية وفقدان تام لملكة النقد. ثانيًا لغة هذا المعلق تخبرك بمشكلتنا: لو كان التعليم جيدًا، وكنا نعرف كيف نكتب لغتنا لتحسن فهمنا للطريقة العلمية. على كل حال أعتقد أن العالم (مزهول) فعلاً من هذا الكشف العجيب. أوافق تمامًا على هذا الجزء.

كلما كتبت عن الطب الزائف وتجارة الأوهام، كتب لى أصدقاء محترمون يقولون إن كل الأدوية أصلها أعشاب، فلا تثريب على من يعالج كل الأدواء بالأعشاب (مش الأفضل نرجع للطبيعة؟). بالطبع كل علم الصيدلة جاء من النباتات، لكن عليك قبل أن تستعمل عشبًا للعلاج أن تخبرنى باسم المادة الكيميائية فيه، ولماذا هى قادرة على العلاج، ثم تفصلها نقية، ثم تدخلها فى سباق الماراثون المرهق الذى يستهدف تطوير دواء جديد، بمراحله الأربع التى يعرفها دارسو الصيدلة والأطباء.

المسألة ليست لعبًا إذن... كنت أقرأ ملخص دراسة أمريكية فحصت مجموعة مرضى على مدى عشر سنوات بحثًا عن إصابات الكبد الناجمة عن الأدوية؛ خصوصًا تلك الأدوية التى تصنف كأعشاب أو مكملات غذائية. تبين أن نسبة ١٥٪ من أمراض الكبد ناجم عن هذه الأدوية (الآمنة). تبين كذلك أن ٣٥٪ من حالات تلف الكبد تلك نجم عن الأدوية التى يتعاطاها الشباب لبناء عضلاتهم. وكانت هناك نسبة ٢٠٪ من الاضطرابات الناجمة عن أدوية الأعشاب. إن نسبة الإصابات تتزايد فى الولايات المتحدة مؤخرًا ، وخصوصًا مع أدوية كمال الأجسام تلك.

فيما مضى ذكرت شبكة BBC التالى عن انتشار العلاج بالأعشاب الصينية فى بريطانيا:

«تتمحور المشاكل حول عقاقير وأدوية تتضمن مادة اريستولوتشيا، وهى مادة عشبية سمية تؤثر بدرجة رئيسية على الكلى ، كما يشتبه فى كونها مادة مسببة للسرطان أيضا، كما كشفت الوكالة البريطانية وجود مواد سمية ثقيلة مثل الزئبق والزرنيخ فى عدد من الوصفات العشبية، ويعترف رئيس الجمعية الأوروبية لممارسى طب الأعشاب مايكل ماكنتاير بأن هذا القطاع لا يخضع إلى أى رقابة او تنظيم، حتى وإن كان ذاتيا، ويقول إن بإمكان أى شخص الادعاء بأنه يفقه فى طب الأعشاب. ويعرف عن العلاج بالأعشاب أنه لا يخضع لنفس الرقابة والاختبارات الصارمة التى تخضع لها المنتجات الصيدلانية الخارجة من المختبرات العلمية».

فطر (أمانيتا فلويدس) يسبب فشلاً حادًا للكبد.. أى أن المريض يموت بغيبوبة كبدية خلال ساعات أو أيام.. كنا نقرأ عن مرض انسداد أوردة الكبد veno-occlusive disease ونحسبه بعيدًا عنا، ثم عرفنا من فقيد الطب الأستاذ فؤاد ثاقب أن (الجعضيض) و(الرجلة) يؤديان هذا الدور بنجاح تام.. أليست هذه نباتات؟.. وبالتالى طبيعية ومفيدة؟

الخلاصة: لابد فى البداية أن تعرف ما تتكلم عنه. ما المركب الكيميائى المفيد؟.. هل تستطيع فصله؟.. هل تعرف كيف يعمل وإتاحته الحيوية؟.. لو لم يرق هذا لك فعلينا أن نغلق كليات الصيدلة كلها ونوفر هذا الإنفاق على الدولة، ونكتفى بأن (نزهل) العالم.

رتب زميل عزيز أن تتم التجربة أمامنا فى القسم الذى نعمل فيه. جاء شاب ريفى محترم على قدر من الثقافة، وقال لنا إنه لم يصدق الأمر حتى جربه بنفسه، وهو لا يريد أجرًا بل يفعل هذا طلبًا للثواب.. الحمام حسب كلامه يشفى التهاب الكبد سى بمجرد وضعه لفترة على بطن المريض، وقال إن الأمر يحتاج إلى بضع جلسات.. فى البداية تموت خمس حمامات. ثم يقل العدد مع الوقت لأن الحمام يمتص السم كله.. تشق بطن الحمامة فتجد أن كبدها قد تليف من فرط ما امتصه من فيروسات. حتى يأتى اليوم السعيد الذى لا تموت فيه الحمامة.. هذا يوم انتصار العلاج الشعبى على الطب.

قال إنه أجرى التجربة غير مصدق، ثم أجرى اختبار PCR الذى يشخص التهاب الكبد سى فوجده قد صار سلبيًا. طبعًا لم نصدق حرفًا لكن الفضول كان شديدًا وأردنا فعلاً أن نفهم ما يفعله، من منطق (آدى الجمل وآدى النخلة). حلق بالموسى الريش عن بطن الحمامة وحلق الشعر عن بطن مريض جاء معه، ثم وضع الحمامة على بطن المريض ملاصقة له وراح يضغط ويضغط والكائن الصغير البائس يجاهد كى يتنفس.. فى النهاية لم تتحمل وماتت خنقًا.. قال لنا فى ثقة إن سبب موتها هو امتصاصها للفيروس. ثم ذهب بالجثة إلى الحمام وشق بطنها ليرينا الكبد.. لم يكن متليفًا طبعًا ولا يمكن أن يتليف بهذه السرعة، لكن كل شيء كان مهشمًا كأن قطارًا دهم الحمامة.. كل شيء محتقن دام.. بدا لبعضنا أن هذه ألعاب حواة لا تليق بمكان للعلم، أما أنا فرأيت هذه تجربة مهمة لأنها ترينا رأى العين ما يحدث فعلاً فى الريف.

بعد أسبوع جاء هذا الشاب وقال لنا باقتناع حقيقى أنه اكتشف أن هذا كله هراء ولا يشفى أحدًا ، والأهم أنه اكتشف أن اختبار PCR الخاص به ما زال موجبًا.. كان منذ أسبوع واحد شديد الاقتناع. لكن يجب أن نعترف أنه تصرف بحسن نية ولم يطلب الكسب، بينما كان الريف يعج وقتها بمن يبيعون ألعاب الحواة هذه.

قالت لى طبيبة مهمة فى الطب الوقائى بوزارة الصحة إن هؤلاء النصابين أدوا لندرة الحمام وارتفاع سعره فى كل قرى الغربية.

تذكرت على الفور ساحرًا أفريقيًا كنت أراه فى برنامج د. مصطفى محمود الجميل (العلم والإيمان). كان يسقى الكتكوت من قنينة سم.. بانتظار أن يموت.. لو عاش لعاش المريض ولو مات فالمريض حالة ميئوس منها. وبلغة د. مصطفى الساخرة: «يا كتكوت يا كتكوت.. حتعيش والا حتموت؟». عندما ترى هذا فى مجاهل أفريقيا فقد تقبله، لكن أن ترى الشيء نفسه فى مصر فى القرن الواحد والعشرين فالأمر يحطم الأعصاب فعلاً

بعد هذا كان علينا أن نتحمل عيادات العلاج بالأوزون والآشعة فوق الحمراء وتحت البنفسجية والعلاج بوضع المرضى تحت هرم.. وفى كل مرة يؤكد لك مريض متحمس أن

هذه الطريقة ناجعة. ثم يكتشف المرضى أن هذا هراء وينسون الأمر. بعد هذا جاء العلاج بالأعشاب.. كل طبيب كان لديه كيس غامض مليء بأعشاب حضرها بنفسه ولا يعرف أحد تركيبها، يبيعه بمائتى جنيه للطوابير التى تتردد على عيادته.

لقد أدى التهاب الكبد سى إلى انتعاش تجارة الأراضى والعقارات فى مصر وأدى لإثراء جيل كامل من الأطباء والنصابين. كان هناك نوع من الأعشاب (خيار الثعبان) أعلن مركز البحوث أن نتائجه مذهلة، وسوف يعلنها فى – وهى مصادفة عجيبة – ٣٠ يونيو. والتزم الصمت تمامًا حول أى تفاصيل عن الأمر. كان هذا فى أواخر التسعينيات. يومها قال أحد أساتذة الكبد العظام لنا: «أراهنكم ان ٣٠ يونيو بتاعهم ده مش جاى أبدًا!». بالفعل.. لم يعلنوا أى شيء حتى هذه اللحظة.

ثم ظهرت موضة العلاج بالإنزيمات.. ثم ظهرت الحبة الصفراء DDB التى تكلمت عن روعتها الركبان، وكان الطيارون يجلبونها معهم من الصين ليبيعوها بسعر الذهب فى مصر، وقالت وزارة الصحة إنه رائع. استغرق الأمر وقتًا طويلاً حتى يتضح أنه عقار بلا جدوى، واكتشف العلماء الحقيقيون أن العقار يضلل نتائج المختبر. أى إنه يعطى نتائج خاطئة توحى بالتحسن.

ثم جاء العلاج بالكفتة، وهو موضوع عرفه الجميع. كتب أحد المعلقين على الإنترنت (بالحرف الواحد وبلا علامات ترقيم) مبديًا انبهاره بجهاز علاج الإيدز والالتهاب الكبدى سي: «انا مصرى وافتخر شيء مزهل عندما يخترعو المصرين هذا الجهاز انا فى قمه فخرى ببلدى مصر تعيشى يا بلدى وتزهلى العالم (دئما نصنع التاريخ)» الحماس الوطنى شيء جميل بشرط ألا يتحول إلى شوفينية وفقدان تام لملكة النقد. ثانيًا لغة هذا المعلق تخبرك بمشكلتنا: لو كان التعليم جيدًا، وكنا نعرف كيف نكتب لغتنا لتحسن فهمنا للطريقة العلمية. على كل حال أعتقد أن العالم (مزهول) فعلاً من هذا الكشف العجيب. أوافق تمامًا على هذا الجزء.

كلما كتبت عن الطب الزائف وتجارة الأوهام، كتب لى أصدقاء محترمون يقولون إن كل الأدوية أصلها أعشاب، فلا تثريب على من يعالج كل الأدواء بالأعشاب (مش الأفضل نرجع

للطبيعة؟). بالطبع كل علم الصيدلة جاء من النباتات، لكن عليك قبل أن تستعمل عشبًا للعلاج أن تخبرنى باسم المادة الكيميائية فيه، ولماذا هى قادرة على العلاج، ثم تفصلها نقية، ثم تدخلها فى سباق الماراثون المرهق الذى يستهدف تطوير دواء جديد، بمراحله الأربع التى يعرفها دارسو الصيدلة والأطباء.

المسألة ليست لعبًا إذن... كنت أقرأ ملخص دراسة أمريكية فحصت مجموعة مرضى على مدى عشر سنوات بحثًا عن إصابات الكبد الناجمة عن الأدوية؛ خصوصًا تلك الأدوية التى تصنف كأعشاب أو مكملات غذائية. تبين أن نسبة ١٥٪ من أمراض الكبد ناجم عن هذه الأدوية (الآمنة). تبين كذلك أن ٣٥٪ من حالات تلف الكبد تلك نجم عن الأدوية التى يتعاطاها الشباب لبناء عضلاتهم. وكانت هناك نسبة ٢٠٪ من الاضطرابات الناجمة عن أدوية الأعشاب. إن نسبة الإصابات تتزايد فى الولايات المتحدة مؤخرًا ، وخصوصًا مع أدوية كمال الأجسام تلك.

فيما مضى ذكرت شبكة BBC التالى عن انتشار العلاج بالأعشاب الصينية فى بريطانيا:
«تتمحور المشاكل حول عقاقير وأدوية تتضمن مادة اريستولوتشيا، وهى مادة عشبية سمية تؤثر بدرجة رئيسية على الكلى ، كما يشتبه فى كونها مادة مسببة للسرطان أيضا، كما كشفت الوكالة البريطانية وجود مواد سمية ثقيلة مثل الزئبق والزرنيخ فى عدد من الوصفات العشبية، ويعترف رئيس الجمعية الأوروبية لممارسى طب الأعشاب مايكل ماكنتاير بأن هذا القطاع لا يخضع إلى أى رقابة او تنظيم، حتى وإن كان ذاتيا، ويقول إن بإمكان أى شخص الادعاء بأنه يفقه فى طب الأعشاب. ويعرف عن العلاج بالأعشاب أنه لا يخضع لنفس الرقابة والاختبارات الصارمة التى تخضع لها المنتجات الصيدلانية الخارجة من المختبرات العلمية».

فطر (أمانيتا فلويدس) يسبب فشلاً حادًا للكبد.. أى أن المريض يموت بغيبوبة كبدية خلال ساعات أو أيام.. كنا نقرأ عن مرض انسداد أوردة الكبد veno-occlusive disease ونحسبه بعيدًا عنا، ثم عرفنا من فقيد الطب الأستاذ فؤاد ثاقب أن (الجعضيض) و(الرجلة) يؤديان هذا الدور بنجاح تام.. أليست هذه نباتات؟.. وبالتالى طبيعية ومفيدة؟

الخلاصة: لابد فى البداية أن تعرف ما تتكلم عنه. ما المركب الكيميائى المفيد؟.. هل تستطيع فصله؟.. هل تعرف كيف يعمل وإتاحته الحيوية؟.. لو لم يرق هذا لك فعلينا أن نغلق كليات الصيدلة كلها ونوفر هذا الإنفاق على الدولة، ونكتفى بأن (نزهل) العالم

شربة الحاج داود

اعتقد أننى آخر شخص فى مصر يكتب عن هذا الكشف العجيب الذى قضى على التهاب الكبد سى والايدز وانفلونزا الخنازير والسرطان والسكرى وضيق الشرايين التاجية بضربة لازب. فهو باختصار (شربة الحاج داود..اللى بتنزل الدود) التى كانت تباع فى الريف قديمًا..

لقد قيل كل شىء عن الموضوع تقريبًا، وانهالت عليه السخرية فى فيس بوك. لم أر برنامج باسم يوسف بعد لكنى أتخيل الحفل الذى سيقيمه على هذا الخبر .أتكلم هذه الأيام بالذات – يا محاسن الصدف – عن الطب الوهمى والعلم الزائف .إذن هذه ذبابة سمينة وجدت نفسها فى شباكى ويصعب أن أتخلى عنها.

أولاً يوجد خلط عجيب بين لفظتى (تشخيص) و(علاج)... الكل يصر على هذا ربما عمدًا، كأنهم يغلفون الهراء بطبقة رقيقة من الصدق العلمى لنبلع الاثنين معًا. الخبر يبدأ بنجاح جهاز التشخيص وحماس العالم له ثم ينتهى فجأة بالكلام عن جهاز العلاج.

من ناحية التشخيص، فالخبر صحيح وعلمى تمامًا، وهو نتيجة بحث مرهق مصمم بعناية ودقة قام به فريق من العلماء المحترمين، ونشر فى الدوريات العالمية ونوقش فى عدة مؤتمرات. ترأس الفريق الأستاذ الدكتور جمال شيحة، وهو رجل ذو فكر علمى منظم. طبعًا تم تجاهل د .شيحة بالكامل عند ذكر الخبر مؤخرًا فلم تذكره إلا جريدة واحدة. اختبار (سى فاست) معروف لأطباء الكبد حاليًا وهو قائم على فحص البصمة الوراثية لتتابع القواعد فى جزئ RNA للفيروس واكتشافه عن بعد دون أخذ عينة دم من المريض، والمبدأ قابل للتطبيق مع فيروسات أخرى، فى البشر والحيوانات والنباتات.

لكن الخبر كما قلنا يتحدث عن العلاج كذلك.. هذا هو الجزء الذى يقف فى حلقى ولا أبتلعه بتاتًا..

فى الحقيقة لم يتم تسجيل أى اختراع كهذا لعلاج المرض، ولا وجود لهذا الكشف فى الدوريات العلمية على الإطلاق..

قال د. جمال شيحة نفسه فى ندوة بالدقهلية لجمعية مرض الكبد منذ عامين: «إن أى مصرى يتكلم أنه اخترع دواء لالتهاب الكبد سى فهو نصاب. ولست مؤهلاً لعمل دواء.. والمؤهل لذلك هى الدول المتقدمة مثل أمريكا واليابان لأنه يتم الصرف على الدواء الواحد ١٢ مليار دولار، وعندما تصنع مصر سفينة فضاء يمكن أن نصنع دواء. حتى الصين لا يمكن لها أن تصنع دواء» (اليوم السابع ١٩ مارس 2012)

زاد الطين بلة عندما رأينا د. إبراهيم عبدالعاطى يتحدث عن اختراعه الغامض هذا.. أدرك رجل الشارع غير المتخصص نفسه أن الرجل يستخدم مصطلحات لا علاقة لها بالطب بتاتًا، ثم أخذته جلالة التظرف فقال إننا نضع الإيدز فى صباع كفتة وهذه قمة الإعجاز، وهذا التعبير فجر ثورة من السخرية لدى المجتمع المصرى كله...

لقد دخلنا عصر الكباب والكفتة فى الطب إذن. عندما رأيت الرجل خطر لى أنه من مريدى العلاج بالأعشاب والطب البديل إياهم، وفعلاً كشفت إحدى الفضائيات أنه كان يقدم برنامجًا عن الأعشاب فى إحدى الفضائيات الدينية.

حسب ما قاله الرجل فالدم يخرج من جسد المريض ليتم تطهيره ثم يُعاد للجسد ..يا

سلام!... هل فيروس سى موجود فى الدم فقط؟.. هذا الرجل يخرق قواعد الطب التى يعرفها أى طالب. كلام ملىء بالأخطاء والعك.. والأدهى ان الجهاز - حسب كلامه- يستفيد من البروتين فى الفيروس ليغذى به المريض!!!

يقول الرجل إنه تلقى عرضًا بمليارى دولار ليبيع اكتشافه أو يتنازل عنه لكنه رفض، ثم خطفته المخابرات المصرية وأنقذته.. هل هو يعى فعلاً معنى مليارى دولار؟.. يتكلم عن ١٤ مليار دولار مصرى.. وتشعر أنه يتكلم بحماس الأطفال (حادفعلك دشليوميت عشرميت جنيه لو لعبت معايا).. ثم هذا الكلام عن المخابرات الذى يذكرك بألف فيلم جاسوسية..

ثم تجد أن هذا الهراء يوافق عليه أطباء كثيرون.. وتجد من يقول إن الاختراع العجيب عالج السرطان والصدفية والسكرى.. وهناك من قال إنه وسع الشرايين التاجية. نسوا أن يقولوا أنه يجلب الرضا والسعادة ويدخل الجنة..

ثم يزداد شكك عندما تعرف أن الاختراع العجيب اسمه (كومبليت سى كيور Complete C cure) وهو لعب واضح على اسم السيسى.. تذكرت على الفور الأستاذ المصرى هاوى الشهرة الذى ذهب للكونغو شهرًا فى الثمانينات ثم عاد ليعلن أنه خلاص وجد علاج الايدز، وأطلق عليه MM1 ، وقد تبين أن هذا معناه (مبارك - موبوتو).. أى أن العلم يستخدم للنفاق فى مصر دائمًا.. وفى ذلك الوقت تحمست الصحافة والإعلام من اجل العالم المصرى العبقرى، بينما لعب الراحل العظيم يوسف إدريس دور غراب البين المتشكك.. دارت الأيام ونحن نعرف اليوم من كان النصاب ومن كان ضمير العقل وقاضيه.. لكننا لا نتذكر.. لا نتذكر شيئًا على الإطلاق..

من جديد دعنى أذكرك بكلمتى القديمة التى ما زلت أجدها جيدة: «العقلية التى تصدق أى اكتشاف، هى عقلية غير قادرة على التوصل لأى اكتشاف !». والفقرة التالية: « يعلن أحدهم عن كشف غامض، ثم يسرع ليتوارى خلف جدار حصين .. الجدار عبارة عن مقولات نسمعها كل يوم (لن نتقدم أبدًا لأن النفوس وحشة ونحن نحقد على بعض)، (عندنا العلم كله بس يا خسارة)، (المصرى لا يجيد سوى هدم المصري)، (الشركات العملاقة يهمها ألا تظهر هذه الحلول الرخيصة). وراء هذا الجدار ظهر ألف علاج للسرطان وألف علاج للسكرى وألف علاج للالتهاب سى، والويل لمن يجرؤ على التشكك أو يدعو للتعقل.. إنه حاقد ومن حزب اعداء النجاح، ولا يجيد سوى الهدم. فقط يتكفل الزمن بأن يكشف الحقيقة بعد ما يكون الناس قد أنفقوا الملايين

وأحرقوا جبالاً من الأحلام.»

وأذكرك كذلك بعلامات العلم المزيف السبع التى وضعها العالم الأمريكى روبرت بارك فى كتابه المهم (الفودوو العلمي). العلامة رقم واحد هى أن الباحث يقدم أبحاثه للصحافة ووسائل الإعلام مباشرة ولا يقدمها للمحافل العلمية .طبعًا هذا ما حدث هنا حرفيًا: تقدم كشفك فى مؤتمر صحفى، وأنت تحمل كل هيبة واحترام القوات المسلحة فلا يجرؤ أحد على الاعتراض. لماذا لا تقدم كشفك فى مؤتمر طبى لأمراض الكبد ليسلخك العلماء بأسئلتهم؟

العلامة رقم ٢ هى أن الباحث يزعم أن المؤسسات الكبرى تحاول سرقة عمله ..وتبدأ نظريات المؤامرة.. هنا وصلنا إلى محاولة رشوته بمليارى دولار واختطافه مما جعل المخابرات الحربية تخطفه قبل أن يخطفه آخرون. اللواء الباحث يرفض بتاتًا ذكر أى تفاصيل عن عمله حتى لا تتم سرقته من شركات أدوية.. يا سلام!.. ومتى يتم نشره إذن؟ ومتى يتم تمحيصه؟

العلامة الثالثة هى أن الباحث أجرى أبحاثه منفردًا.. المقصود هنا أنه يعمل دون تواصل مع مؤسسات بحثية كبرى. عندما كنا نتكلم عن التشخيص يمكنك ان تعرف كل تفاصيل البحث والعاملين فيه والتعاون مع أطباء باكستانيين.. الخ ..لماذا؟.. لأن السى فاست كشف علمى مهم فعلاً، أما هذا فهراء.

العلامة الرابعة هى أن الباحث يعتمد على أدلة شفهية Anecdotal evidence لتدعيم كلامه. هل من دليل عن شفاء من تم شفاؤهم سوى كلام اللواء؟ وسوى كلمة (انت كان عندك إيدز وراح) حتى تذكرت المعالجين الروحانيين (انت كان عليك عفريت ومشى يا بنى). العلامة التالية هى أن الكشف يحتاج إلى تغيير مفاهيمنا لقوانين الطبيعة. الفيروس سى يحوى DNa وليس RNA.. والبروتين يمكن تحويله لكفتة.. والسرطان والسكرى نتيجة فيروسات..

إذن نحن نملك خمس علامات من سبع على أن هذا الكلام فارغ... هل هذا كاف؟ إقحام الجيش فى هذا الكلام الفارغ خطر جدًا ويهينه بشدة. كنا نعترض على إقحام الجيش فى السياسة واليوم نتكلم عن إقحامه فى الطب!.. هذا يؤذى الاثنين معًا: الجيش والطب.

انبرى الدكتور عصام حجى المستشار العلمى لرئيس الجمهورية ينتصر للعلم ويصف الابتكار بأنه فضيحة علمية لمصر - وهى كذلك فعلاً –وكانت النتيجة أن الهجوم انهال



عليه من المتحمسين دائمًا، الجاهزين لتصديق أى شىء..

يمكنك طبعًا أن تقرأ ردود الفعل العالمية الساخرة على هذا المؤتمر، وان ترى الحفل الذى أقامته قناة الجزيرة على شرف الطب المصرى عدة أيام.

حرام عليكم.. مصر لا تستحق كل هذه البهدلة.. ماذا فعلتْ لكم لتكرهوها بهذا القدر، وتهينوها بهذا الشكل؟

بين السوفالدى والكفتة

عرفت سيدة فى منتصف العمر كانت تعانى حالة غريبة فى كف يدها، فقد كانت تتورم ويصير لونها أخضر ويستمر هذا عدة ساعات، ثم تشفى الحالة تلقائيا. فقط لتتكرر بعد شهر. بالطبع قمت بعرضها على عدد كبير من أطباء الأوعية الدموية والعظام والأمراض الجلدية.. لا جدوى. لا يوجد تفسير لهذه الحالة العجيبة .لما سئمت السيدة كل هراء الأطباء ذهبت لشيخ – هكذا تصفه – فى قريتها فأعطاها بعض الأحجبة، والأهم أنه نصحها بألا تطلب رأى الأطباء ثانية لأنهم لا يعرفون شيئا ويسببون الأذى فحسب !... لم تشف السيدة على كل حال، لكن ما اثار غيظى هو أن الرجل لم يملك الحل، لكنه كذلك لا يريد للطب المعترف به أن يجرب أو يأخذ فرصته.

أتذكر هذا كلما قرأت الهجوم على العقار الجديد سوفوسبوفير (سوفالدى) الذى أنتجته شركة جيلياد، والذى احتل الصحف كعلاج فعال للفيروس الكبدى سى.

عندما جاء ٣٠ يونيو من دون الإعلان عن نتائج علاج (الإيدز - الفيروس سى- ارتفاع ضغط الدم - الحصبة) الذى أعلن عنه اللواء عبد العاطى، والذى قالوا إنه سيزلزل الأرض تحت اقدام علماء الكون، وسوف (نزهل) الدنيا كلها كعادة المصريين، لم أكتب عن ذلك لأننى ببساطة كنت أعرف يقينا أن ٣٠ يونيو سيأتى ويذهب دون أن يحدث شىء.. الموضوع منته بالنسبة لى وغير وارد بتاتا. قضمة واحدة من البيضة تنبئك بأنها فاسدة فلا حاجة

لالتهامها كلها. قالوا لنا إننا سنتوارى خجلا ونبحث كالصراصير عن شق نختفى فيه بعد ٣٠ يونيو، وبما أن شيئا من هذا لم يحدث، فإننى أدركت انه لو كتبت لامتلأت سطورى شماتة وسخرية لدرجة غير موضوعية. كانت طلقة صوت داوية لا أكثر أريد بها تملق الجيش فآذته، والمشكلة هى أن اسماء علمية مشهورة وأطباء لهم احترامهم ورطوا أنفسهم فى هذه المهزلة، ورأينا طبيبة تؤكد ان العلاج الجديد يقلل ضغط الدم المرتفع ويعالج الإكزيما.. .الخ.. يبدو ان الرغبة فى النفاق والمصلحة الشخصية كانت أقوى من أى اعتبارات علمية شعارهم هو: فليذهب المجتمع والعلم إلى الجحيم ما دام الكذب سيحقق لنا نفوذا وكسبا ماديا. رأينا المذيع الذى أكد ان المصريين خطفوا قائد الأسطول السادس الأمريكى ليضغطوا على أمريكا لتتراجع عن احتلال مصر أو شيء من هذا القبيل، وهى قصة أضحكت العالم كله علينا، مقابل نقاط يظن انه أحرزها لدى القيادة. لا بأس.. من حقه ان يخرف إذا أراد، لكننا فى موضوع اختراع الكفتة نعبث باسم مصر وحقيقة البحث العلمى فيها، ونلعب .بأحلام آلاف المرضى

الآن عرف الناس الحقيقة. بعضهم ابتلعها بمرارة وبعضهم ما زال يجادل، والأظرف ان كثيرين يعتقدون أن عقار السوفالدى الجديد هو نفسه علاج الجيش الخاص بالكفتة. .البعض يطالبنا بالانتظار حتى ديسمبر لتكون ستة أشهر أخرى قد مرت

إن العناد يورث الكفر..لقد أدركنا بوضوح ان علاج الكفتة بلا جدوى. هنا جاء دور التشكيك فى عقار السوفالدى لإحداث بلبلة. لا يهم أن يرتبك المرضى ولا يعرفون إلى أين يذهبون.. المهم أن نصر على رأينا ونحتفظ بعنادنا. يقول أحد الأساتذة المرموقين الذين ارتبط اسمهم باختراع عبد العاطى: «إن جهاز سى فاست المستخدم فى تشخيص الفيروس سى ليس له مثيل فى العالم..». هل اختلفنا فى هذه النقطة ؟ كل هجومنا ينصب على الجانب العلاجى فلماذا تقحم جانب التشخيص ؟. يقول الأستاذ إنه مرتاب فى سرعة طرح العقار سوفالدى فى مصر خاصة انه لم يجرب سوى على عدد محدود من النوع الجينى الرابع قال كذلك: «نظرا لأن القوات المسلحة شغوفة بعلاج المصريين من .الموجود فى مصر فيروس سى، فقد تم اختراع جهاز كومبليت كيور الذى لقى هجوما مسيّسا شديدا فلم يحاول أحد أن يطلع على حيثيات الاختراع، ولكن كان الهجوم من أجل الهجوم، فقط لزعزعة الثقة فى الجيش المصرى وعلمائنا الأجلاء وقدرتنا على اختراع مثل هذا الجهاز..........هناك من يريد أن يصم أذنيه عن سماع الحقيقة ليهاجم القوات المسلحة ويشكك الشعب المصرى فى جيشه العظيم...........جاءت النتائج مبشرة دون حدوث أى آثار جانبية

للمرضى من استخدام الجهاز، ونحن بانتظار إعلان الجيش عن خروج جهاز علاج فيروس سى «كومبليت كيور» للنور بداية عام ٢٠١٥ المقبل». ما زال الرجل مصرا على أن علاج الكفتة فعال، لهذا سوف ننتظر حتى أول عام ٢٠١٥.. بعدها يمكننا لو كنا أحياء أن نوجه له الاتهام بأنه تلاعب بعقول المصريين واستغل لقبه العلمى للترويج لخرافة. فى جريدة فيتو (العدد 138) يشكك عالم آخر هو د. محمد عبد الوهاب من جامعة المنصورة فى السوفالدى، ويقول العنوان: «سوفالدى كذبة كبرى تكلف مصر ٢٠ مليار جنيه». عندما تقرأ المقال تكتشف ان العنوان درامى جدا ولم يقله الرجل بالضبط، لكنه يطرح عدة اسئلة ومخاوف علمية معقولة جدا، ويذكر ان العقار لا يشفى التليف الكبدى كما يعتقد البعض، ولا يصلح للمرضى فوق السبعين، وهذه حقائق كلها لكنها لا تجعل العقار كذبة.

ما هو الخيار؟ أى علاج يبتعد عن عقار :يقول أساتذة الكبد الذين درسوا الموضوع جيدا العلاج بالانترفيرون والريبافيرين يستغرق زمنا طويلا .الانترفيرون الخطر يستحق التجربة ونتيجته محدودة جدا، فهل تجرب طريقة الكفتة؟ أم تجرب العقار الجديد الذى نال موافقة الـ FDA، ودراسات مطولة؟. وبما أنه لا يمكن استعماله وحده منعا لظهور سلالات مقاومة، فمن الممكن استخدامه مع الانترفيرون والريبافيرين لمدة ثلاثة أشهر، ويمكن استخدامه مع الريبافيرين لمدة ستة اشهر. لا شك ان وزارة الصحة حققت نصرا لا شك فيه بتوفير هذا العلاج بسعر رخيص نسبيا.. الكبسولة الواحدة ثمنها فى الخارج ١٠٠٠ دولار والمريض يحتاج لثلاثة أشهر على الأقل، فاستطاعت الوزارة توفيره ليكون ثمن العلبة التى تكفى شهرا ٢٢٠٠ جنيه مصرى. العدد المستهدف فى خطة العلاج القادمة هو ٦٠،٠٠٠ إلى ٧٠،٠٠٠ مريض. لاحظ ان اوروبا عاجزة عن استخدامه بسبب سعره الباهظ. هناك بدائل أخرى تظهر كل يوم ومنها عقار الهارفونى المكون من السوفسبوفير مع الليدباسفير.

المؤامرات موجودة بلا شك وهذه الشركات لا تتعامل إلا بالأسهم وآليات السوق، لكننا نملك وسيلة للتحقق هى المراجع والدوريات العلمية المحترمة بدلا من كلام المصاطب. لقد بزغت شمس وانفتحت نافذة أمل لآلاف التعساء الذين دمر الفيروس سى حياتهم، ولا يمكن التعامل مع كل شيء بنظرية المؤامرة وألاعيب شركات الدواء كما هى العادة.. تذكر الطبيب أندرو ويكفيلد الذى قال إن لقاح MMR خطر ولا لزوم له سوى ثراء شركات الأدوية، وكانت النتيجة هى عودة الحصبة والتهاب الغدة النكفية بشكل وبائى قاتل إلى انجلترا.

ارحموا المرضى الذين كلما تحسسوا بابا فى الظلام وجدوا من يقول لهم إنه يقود لهاوية.

..فلنملك مرة واحدة شجاعة أن نعترف بالخطأ

الجزء الثالث

بعيدا عن الطب

«أنت وقطة «شرودنجر

في طفولتي ذهبتْ أمي بي إلى المدرسة لأول مرة، وبعد جلسة طالت مع مديرة المدرسة ودعتني ورحلت، وهي خيانة لم أتوقعها قط.. كنت أحسب هذه الجلسة العابرة هي المدرسة ذاتها، وبعدها نعود للبيت وننسى هذا كله. فجأة وجدت نفسي في قبضة العاملة

القوية.. رحت أحاول التملص كما يفعل السفاحون الذين يقتادهم عشماوي للمشنقة. كانت المرأة أقوى مني بمراحل، وقد اقتادتني إلى ممر طويل فيه فصول على الجانبين، وسألتني:

هل تريد أن تكون في الطابق السفلي أم العلوي؟ -

قلت بلا تفكير وأنا أحاول الفرار:

السفلي. -

هكذا تحدد مصير باقي حياتي للأبد: الصف الذي دخلت فيه وقابلت أهم صديقين في طفولتي: أبهج وهانئ. وقد تحدد للأبد نمط تفكيري وتكوين شخصيتي: حب القراءة.. مجلات «سوبرمان» و«الوطواط» و«تان تان»، و«المختار من ريدرز دايجست»، أطالعها مع أبهج، الطفل المسيحي الذكي ذي العوينات السميكة. حتى دعاباتي ذاتها.. هواية الرسم.. حب أعدائي.. كل شيء حددته إجابة قصيرة من فم طفل ..الطفولة.. كراهيتي للتعصب.. خجلي هو أنا.

في الثامنة من عمري، أذكر ذلك الزفاف في شبين الكوم.. قريبة بعيدة لنا والزفاف في بيتها كعادة الناس قبل اختراع قاعات الأفراح. كان الكل مشغولين مع العروس.. وكنت أنا طفلًا لديه تصريح غير مكتوب يتيح له الجلوس مع الرجال، ويتيح له دخول غرفة النساء، حيث تلتف صديقات العروس الخبيثات الضاحكات حولها يقرصنها ويتبادلن الهمس. بعد قليل قتلني الملل.. فتحت باب الشقة وخرجت، وسرعان ما كنت أقف أمام البناية ثم درت حولها.. وجدت نفسي في منطقة مترامية من الخضرة. مساحة شاسعة لم أرها في حياتي. تحركت ساقاي قبل أن أفهم.. كجواد حرون تركضان وتركضان وتركضان.. الهواء ورائحة النباتات ولذة الحرية.. لا بد أنني ركضت نحو عشر دقائق كاملة، ثم تهيأت للعودة.

هنا أدركت في هلع أنني ابتعدت جدًّا، وأنه من المستحيل أن أتذكر المكان الذي كنت فيه! رحت أركض نحو ما ظننت أنه بيت أقاربي.. قلبي يتواثب.. لا شيء. كل مكان يبدو مختلفًا.. ليس من هنا، بدأت الركض.

أرهقني البحث عن المكان مع الرعب والندم.. وهنا وجدت أحد الجيران يقف أمام باب بيته وهو يلتهم ثمرة بلح في تراخٍ، فسألته عن بيت أقاربي وأنا أتوقع أنه لن يعرف.. أدهشني أنه

أشار لشارع جانبي فهرعت إليه لأجد البناية الحبيبة! هذا الرجل قد يكون زانيًا أو لصًّا أو سفاحًا لكنه - في تاريخ حياتي - قديس.

ماذا لو لم أصل للبيت؟ لو لم أكن أعرف اسم أقاربي بالكامل؟ ماذا لو ضللت طريقي في الشوارع؟ هل كنت أتحول إلى صبي ضال من صبية الشوارع، أو أعمل عند ميكانيكي وأتلقى ضربات بالمفك على رأسي قبل أن أتعلم؟ ربما كنت لأصير أشهر ميكانيكي سيارات أو أبرع سباك في شبين الكوم.. ربما كنت سأصير لصًّا وأتعلم النشل لدى عصابة على طريقة «أوليفر تويست». وبعد أعوام ترى صورتي كمسجل خطر في مديريات الأمن.. ربما!

نقطة تفرع أخرى جوهرية. وماذا عن النقاط الأخرى؟

لو لم أحصل على مجموع كافٍ في الثانوية العامة ودخلت كلية أخرى، ربما دخلت كلية الآداب كما كنت أتمنى أصلًا.. كنت أحلم بأن أكون أستاذًا للأدب الإنجليزي لكن أهلي أرغموني على دخول الطب بسبب المجموع العالي. كنت سأقابل زوجتي هناك في كلية الآداب معيدة أو طالبة وليست طبيبة، وكنت سأتزوجها وبالطبع ننجب أطفالًا آخرين. كانت ستأتي بأطفال آخرين ..تمامًا.. أم أخرى لن تأتي للعالم بمحمد ومريم.

نقاط تفرع جوهرية لا حصر لها...

الحياة كلها محيرة وتحمل مفترقات طرق شتى.. وكل مفترق طريق يقود لاحتمالات أخرى تمامًا، فلو ضللت طريقي في شبين الكوم وتربيت في الشارع، وصرت ميكانيكيًّا، فلربما تزوجت بائعة خضر عرفتها هناك.. ولربما هي لا تنجب أصلًا، إلخ.

فيما بعد نصحني أحد الأصدقاء الشباب أن أشاهد فيلمًا اسمه «السيد لا أحد» أو «السيد نكرة»، وهو فيلم رائع عُرض عام ٢٠٠٩، ويتميز بسيناريو فائق الإمتاع، لكنه كذلك شديد التعقيد.

نيمو» - قام ببطولته الممثل «جاريد لوتو» - وندرك بصعوبة فكرة «نقابل رجلًا اسمه الفيلم الهيكلية: ماذا لو اختلف مصير هذا الرجل في كل مرة؟ مثلًا نقابله في جو خيال علمي عام ٢٠٩٢ يحكي قصة حياته لمحرر. يعتقد أنه في العقد الرابع من عمره، ويحكي عن مسار حياته لو اختلف عند نقاط التفرع المهمة:

في سن التاسعة ينفصل أبواه.. هنا نرى السيناريو الكامل لحياته لو عاش مع أمه وزوجها، وانغمس في قصة حب غير مشروعة مع ابنة زوج أمه، وهناك السيناريو الكامل لو عاش مع



أبيه مع ملاحظة أن أباه سيصاب بالفالج، ويكون على الفتى أن يرعاه. نقطة تفرع أخرى في سن ١٦ سنة حيث يمر بثلاث قصص حب مختلفة مع ثلاث فتيات عرفهن في طفولته. نقطة التفرع الثالثة في سن الرابعة والثلاثين.

في مرة يتزوج من «أليس».. الفتاة المكتئبة التي ما زالت تحب رفيق مراهقتها.. وهي تطلب من «نيمو» أن ينثر رمادها عندما تموت فوق القمر. في مرة يتزوج فتاة تدعى «جوان» ويعيشان حياة رغدة رخوة لكنها مملة. في مرة هناك علاقة مضطربة عاصفة مع ابنة زوج أمه. ما هي الحياة الحقيقية؟ ومن هو نيمو حقًّا؟

والبطل يلخص مأساته: «عندما كنت أجهل المستقبل، لم أكن أستطيع اتخاذ قرار صحيح.. اليوم وأنا أعرف المستقبل لم أعد أستطيع اتخاذ أي قرار نهائيًّا!».

الأمور تزداد تعقيدًا عندما نعرف أن «نيمو» الذي يحكي القصة عام ٢٠٩٢ هو بطل في قصة خيال علمي كتبها «نيمو» الشاب!

هكذا تتداخل في الفيلم نظرية الفوضى مع تأثير الفراشة.. كل اختيار مهما صغر يمكن أن يضعنا في كون آخر مختلف تمامًا.. الحرية الحقيقية هي أن تعيش حياة لا ترغم فيها على الاختيار!

هذه باختصار شديد فكرة الفيلم الرائع، وأنت تعرف أن هناك أفلامًا كثيرة ناقشت المصائر المختلفة للإنسان؛ ومنها مثلًا «اجري يا لولا.. اجري»، و«الأبواب المنزلقة»، لكن هذا أجملها وأكثرها تعقيدًا.

الآن تعالَ نتعرف على قطة «شرودنجر»، فهي تفسر كل شيء. أما من يخافون القطط فلهم أقول إن القطة افتراضية.. مثال توضيحي لا أكثر.

فليتسع أفقك وخيالك لأن الموضوع معقد. ربما لا يمكن شرحه جيدًا إلا بالمعادلات، لكنه مفهوم جيدًا لأي شخص درس ميكانيكا الكم (وأنا لست منهم للأسف).

إرفن شرودنجر» فيزيائي نمساوي له معادلات مهمة جدًّا في ميكانيكا الموجات، وثمة » معادلة شهيرة باسمه.. كان كذلك فيلسوفًا مهمًّا قبل أن يموت عام ١٩٦١. على فكرة، نقشوا نظرية الموجة التي ابتكرها على شاهد قبره الحجري.

قطة «شرودنجر» شهيرة جدًّا في وجدان الغربيين، وقد قدم النظرية عام ١٩٣٥. يبدو أن نظرية القطة هي رد على تفسير مدرسة كوبنهاجن لميكانيكا الكم. تخيل «شرودنجر» أننا وضعنا قطة حية في غرفة معدنية ومعها زجاجة فيها سيانيد. هناك عنصر مشع في القفص، لو تحلل هذا العنصر فسوف يؤدي لأن تهوي مطرقة على زجاجة السيانيد وتقتل القطة بالغاز.

يبدو الأمر شبيهًا بفخاخ «جيمس بوند» الشهيرة، فلربما كان الإصبع الذهبي يضحك الآن في تشفٍّ.

نحن لا نعرف.. .مراقب التجربة لا يعرف إن كان العنصر تحلل أم لا، وهل ماتت القطة أم لا لهذا القطة ميتة وحية في نفس الوقت.. هذا هو مبدأ التراكب (superposition) المعروف في ميكانيكا الكم.. هنا حالة شك لن تزول إلا بفتح الصندوق لنرى إن كانت القطة حية أو ميتة. لا توجد نتيجة للتجربة ما لم تتم ملاحظتها.

والمشكلة هي أن فتح الصندوق تدخل سافر في التجربة. يطلقون على هذا مصطلح «تناقض الملاحظ».

مبدأ التراكب يتحقق فعلًا تحت مستوى الذرة.. يمكنك أن تجد الفوتون في عدة أماكن في نفس الوقت.

هل تفهم؟ موضوع معقد جدًّا، وقد قال «شرودنجر» نفسه إنه يتمنى لو لم يرَ هذه القطة اللعينة قط!

«أينشتاين» راقت له التجربة وكتب يهنئ «شرودنجر» ويقول له إنه العالِم الوحيد الذي استطاع أن يبرهن على أن الحقيقة نسبية وخطرة جدًّا. ليس هذا كلامًا فارغًا أو تسلية مدمنين.. تذكر أن ميكانيكا الكم علم مهم، وهو من العوامل التي تجعل الغرب في مقدمة الركب، بينما نحن نتعثر في المؤخرة.

عندما تطبق نظرية «شرودنجر» على نطاق واسع فإنك تفهم فيلم «السيد لا أحد» بشكل أفضل.. كل المسارات صحيحة وحدثت.. «نيمو» عاش مع أبيه ومع أمه، وتزوج الفتيات الثلاث، وهو بطل قصة الخيال العلمي التي رأيناها، لكننا لا نعرف حقًّا أي قصة هي الصحيحة إلا من المكان الذي يقف فيه الملاحظ.



هذه هي نظرية «العوالم العديدة». القطة حية وميتة معًا، لكن كل واحدة في كون آخر لا تعرف شيئًا عن الأخرى ولا يوجد اتصال بينهما.

مصطفى وغادة :ربما أنا اخترت فصلًا آخر في المدرسة الابتدائية وعرفت أصدقاء آخرين ورامي.. وصارت لي شخصية مختلفة، وكلانا نعيش في العالم لكننا لا نعرف بعضنا.. فقط أنا أحكم على رؤيتي، أنا حسب الجهة التي أقف عندها من التجربة.

الحياة حشد من الاختيارات الطفيفة في كل مرة، لكن كل اختيار يقودك لمنعطف جديد. في النهاية تقف عند الجانب الآخر من المدينة وتتساءل أين كنت ستكون لو اخترت أشياء أخرى؟ الفكرة التي تصدع الرأس أن يكون هؤلاء جميعًا موجودين في أطراف المدينة الأخرى لكنك لا تعرف عنهم شيئًا ولا تعرف كيف تجدهم!

حتى يغادرو االبيت

سقيا لتلك الحقبة التي ساد فيها شريط الفيديو وأندية الفيديو. كنت قد اشتريت أول
جهاز فيديو في حياتي- بالتقسيط طبعًا- ووضعته في أهم ركن بالبيت، ثم ذهبت لنادي
الفيديو لأستأجر تلك الأحلام المعبأة في شرائط. البائع البشوش يقف ليحدثك عن كل
فيلم كأنه ناقد سينمائي، وخيبة الأمل عندما تكتشف أن وغدًا ما أخذ الفيلم الذي تريده
ولم يرجعه بعد. لماذا يشاهد الناس الآخرون الأفلام؟. تبًا لهم!. أليس لديهم ما يشغلهم؟.
الانتظار والقلق والعودة ليلاً لتسأل عن ذات الفيلم، فإذا كان صاحب النادي صديقك خبأه
لك في درج جانبي، تأخذه وتهرع مغادراً المكان كأنك تحمل شحنة مخدرات. صوت الشريط
الأفلام .وهو يدخل جهاز الفيديو كأنه رضيع متلهف لحضن أمه. علامة الشركة المنتجة
القادمة. لو كان الشريط جديدًا فلن تعاني مشكلة القاذورات التي تتلف رأس الجهاز
المغناطيسي. هذه كانت أيامًا سعيدة فعلاً، ولهذا كان يجب أن تنقرض. اختفى هذا الاختراع
يتلف وتملؤه الخدوش بعد ربع ساعة من CDبالكامل. عليك اليوم ان تستأجر قرصًا مدمجًا
استعماله. تحاول أن تصلح الخدوش بمعجون الأسنان وهي طريقة لا تنجح أبدًا برغم أن
.النت تؤكد انها فعالة. ليس هذا موضوعنا على كل حال برغم ما في ذلك من نوستالجيا
أقول إن أحد المنتجين الأذكياء- أو النصابين- قرر أن يكسب بعض المال، فطرح أفلام
فيديو قال إنها مجسمة. وكان الفيلم يؤجر مع نظارة تجسيم تُباع بسعر باهظ. قلت لنفسي
ربما. لكني ألقيت نظرة على الصورة من دون نظارة فأدركت إن الأمر مزحة سخيفة. لكي تكون
الصورة مجسمة يجب أن تبدو مهزوزة تسبب الصداع من دون نظارة، أو تكون خليطًا من
.اللونين الأحمر والأخضر. هنا كانت صورة عادية جدًا. إذن التجسيم مستحيل
واصل المنتج النصاب دعاباته فأظهر الشاشة مقسومة. على اليمين صورة وعل وعلى



البس النظارة وشاهد الفارق بين الصورة اليمنى :اليسار صورة وعل. ثم كتب على الشاشة طبعاً لا فارق من أي نوع. لكن الناس تحب أن تُخدع. هكذا .!المجسمة واليسرى العادية فوجئت بصديق لي يقول في انبهار: فعلاً يا أخي. الصورة اليسرى مجسمة جدًا. قلت له: .الرجل يتكلم عن اليمنى

.هذا نموذج ممتاز للطريقة التي يقنع الناس بها أنفسهم بأي شيء

الحقيقة أن السينما واجهت تحديًا رهيبًا منذ ظهر التليفزيون. لقد صار الممثلون والقصة قادرين على دخول غرفة جلوسك، لتشاهد الفيلم مسترخيًا وأنت تتلذذ بتناول العشاء وتشرب مشروبًا باردًا وتدخن. ما الذي يرغمك على ارتداء ثيابك والبحث عن الحذاء تحت الفراش، وقيادة سيارة أو ركوب المواصلات في الزحام إلى السينما، حيث تجلس في مقعد في الظلام لمدة ٣ ساعات؟

عندما تقرأ في تاريخ السينما تكتشف أن محاولات الإبهار لم تتوقف يومًا واحدًا، وأن نظام .الأيماكس مثلاً قديم جدًا

أقدم مثال في ذهني هو فيلم الوردة البيضاء عندما كانوا يقدمون لكل مشاهد يدخل السينما وردة بيضاء، وفوجئ الناس في أكثر من حفل أن عرض الفيلم توقف وارتفع الستار !ليظهر عبدالوهاب نفسه ليقدم نفس الأغنية التي كان سيغنيها في الفيلم

مثلاً هناك أسلوب السينراما والسينما سكوب. الغرض الأساسي كان تكبير الصورة وإذابة .الحدود التي تنتهي عندها الشاشة يمينًا ويسارًا ليحس المشاهد أنه في قلب المشهد

تأمل التاريخ المبكر) عرض الفيلم على) 1929عندما قدم أبيل جانس فيلم نابليون عام ثلاث شاشات متجاورة. كان هذا حدثًا ضخمًا يضعك في قلب معارك بونابرت فعلاً. فيما بعد استعادت اليونسكو أجزاء الفيلم وعالجتها رقميًا وعرضت الفيلم عام ٢٠٠٤ بالضبط كما .عرضه جانس عام ١٩٢٩. هكذا يمكن قول إن جانس هو مبتكر السينراما

تم تطوير فكرة الثلاث كاميرات أكثر عام ١٩٥٢. لكن ظلت هناك مشكلة خطيرة هي تزامن آلات العرض الثلاث مع دقة بالغة في طبع الأفلام. أي خطأ سوف يؤدي إلى أن يظهر خط .أسود بين الشاشات. او يظهر البطل على الشاشة اليمني ثم يتكرر على الشاشة الوسطى

بعد هذا ظهر حل أكثر شعبية هو السينما سكوب. أنت تعرفها. تذكر الشاشة العريضة التي أول من جربها كان المخرج العظيم .(عرض عليها فيلم (الناصر صلاح الدين) أو (وا إسلاماه هايبر جونار) - التي تضغط الصورة في الكادر)محمد كريم وقد حصل على العدسة العجيبة العادي - بالإيجار من شركة فوكس للقرن العشرين، وقد صور بها فيلم دليلة لعبدالحليم حافظ. من انتقدوا الفيلم قالوا إن الكاميرا كانت مصابة بتصلب الشرايين ولم تكن تتحرك بتاتًا كأننا نشاهد مسرحية. الحقيقة أنه كان خائفًا من تحريك الكاميرا لأن العدسة تسقط .بسهولة ولو تحطمت لخربت شركة فوكس بيته

بعد هذا تم تطوير الفكرة أكثر مع الفيستافيجان والألترا بانافيجان. الآيماكس الذي اجتاح مصر ليس سوى حيلة قديمة لجعل المشاهد يغوص في المشهد أكثر لدرجة تحسس الممثلين. انا دخلته وشعرت انني أوشك على الاختناق. الشاشة تجثم على نفسي ولا أرى حدها العلوي. لا أرى السماء.

هذا عن شكل الشاشة وحجمها.

هناك ألعاب طريفة يجب ذكرها. مثلاً (الواخز) هو كائن فضائي يتسلل لأجسادنا عبر أسفل العمود الفقري. هكذا قام أصحاب السينما التي عرضت فيلم الرعب هذا، باختيار بعض المقاعد في السينما ليزودوها بجهاز يطلق شحنة كهربية خفيفة في لحظة مثيرة من الفيلم. تصور صراخ النساء عندما يشعرن بأن الواخز يتسلل لأجسادهن!

نعم. لا مزاح هنا. عام ١٩٦٠ فكر Smellies. تم التطوير في اتجاه آخر هو الأفلام ذات الرائحة العلماء في أن تكون الأفلام ذات رائحة. جميل أن ترى فيلمًا يدور في مرج أو له رائحة مارلين مونرو. كانت هناك طريقتان: طريقة إطلاق روائح من مضخات خاصة في قاعة السينما، وهذه الروائح تعمل طبق نظام كمبيوتر صارم. الطريقة الأخرى هي أن يحمل المشاهد دفترًا مرقمًا يحمل عدة روائح. ويتم شم كل جزء من الدفتر حسب سياق الفيلم. الفكرة جيدة لكن المشكلة أن زوال الروائح من جو السينما كان بطيئًا فعلاً لهذا كانت تختلط ببعضها، وكانت تصل للجالسين في البلكون بعد انتهاء المشهد. هناك طريقتا Smell- O- Vision وAromaRama. لكن الطريقتين فشلتا بسبب عدم حماس الجمهور. وحتى اليوم ما زالت هناك محاولات لإحياء هذه الفكرة مثل فيلم (الأطفال الجواسيس) لروبرت رودريجز الذي عرض مع دفتر روائح.

كنا نتكلم عن الإيحاء. هناك رجل ظهر على شاشة التليفزيون الأمريكي ليعلن أنه اخترع جهاز سمل أو فيجان الذي ينقل الروائح للمشاهدين للتليفزيون في بيوتهم. وقام بتقشير البصل وأعلن أنه سينتقل للمشاهدين عبر الجهاز. الغريب أن المشاهدين اتصلوا بالقناة يشكون رائحة البصل الخانقة في بيوتهم!. ولم يخطر لهم أن يلاحظوا أن هذا هو أول إبريل!

على مستوى الصوت جربت السينما كل شيء. الستريو والدولبي وأشياء أخرى يمكن لأي مهندس أن يحدثك عنها. لكن تجربة سنس ساراواند تستحق الإشادة. لقد شاهدنا في القاهرة فيلمي (الزلزال) و(جالاكتيكا). وكان تأثير موجات الصوت التي تهز المقعد رهيبًا. بالفعل أحشاؤك ترتج مع الزلزال.

ننتقل الآن إلى التجسيم.

كان أبي يحكي لي عن استمتاعه في طفولته بعروض السينما المجسمة في دمنهور مسقط رأسه، وكان يحكي عن النظارة ذات العدسة الخضراء والعدسة الحمراء. مما يدلك على أن الفكرة قديمة جدًا.

سعدت جدًا عندما رأيت لأول مرة تلك النظارات التي تعكس لك صورة مجسمة، وهكذا قرأت كثيرًا في موضوع التجسيم.

لا يمكن الشعور بالتجسيم إلا بعينين، ترى كل منهما صورة مختلفة قليلاً ويمزج المخ الصورتين ليحصل على مشهد مجسم. المشكلة هي أن توصل لكل عين الصورة التي يجب أن تراها.

النظارة قد تكون ملونة. عدسة خضراء وعدسة .أشهر طريقة وأسهلها هي طريقة النظارة حمراء. هكذا لا ترى العدسة الحمراء سوى المشهد المصبوغ بالأخضر والعكس. أنا رأيت بهذه الطريقة، وشبكة النت مليئة بصور مماثلة (فيلم (أطفال جواسيس.

النظارة قد تكون شفافة تعتمد على نظرية الضوء المستقطب. كل عين لا تستقبل إلا الضوء المستقطب في اتجاه عدستها سواء كان أفقيًا أو عموديًا. هذه هي طريقة العرض التي رأيناها في مصر. كانت هناك سلسلة أفلام مثل (هجوم على المتفرجين) و(بيت الرعب المجسم) حيث قصة الفيلم باختصار هي أشخاص يلقون أشياء على الجمهور! بعد هذا بدأت الفكرة تتطور ورأينا أفلامًا مجسمة بشكل أفضل وبذات تقنية الضوء المستقطب مثل فيلم (أفاتار).

مشكلة أسلوب النظارات هي أنك تصاب بصداع عنيف. لو نزعت النظارة ونظرت للشاشة ربما جعلك هذا تشعر بغثيان. الصداع هو ضريبة .لأصابك الهلع من الصورة المهزوزة هناك السينما المجسمة على كل حال.

هناك طريقة الشبكات، مثل الشبكة التي ابتكرها المهندس السوفيتي سيمون بافلوفتش، الذي ابتكر شبكة تمنع عن العين اليمنى ما يجب أن تراه اليسرى والعكس. هذا شيء معقد جدًا، لكن مشكلته هي أن المشاهد لا يحرك عنقه طيلة الفيلم.

في فرنسا صمم ف. سافوي شبكة مماثلة عرض بها فيلمًا مجسمًا عام ١٩٤٩.

السينما علم وفن وصناعة. لا شك في هذا. لكن في النهاية تظل هذه التقنيات نوعًا من ألعاب الحواة أو عروض السيرك. المهم ما يقوله الفيلم نفسه وبعده الإنساني. كان شابلن يقول: أفضل تقديم وجه رجل يقلب فنجان شاي على تقديم بركان ينفجر.

التجسيم المرعب وتقنيات .شاهدت فيلم "أفاتار" في السينما فانقطعت أنفاسي انبهارًا الكمبيوتر والصوت الدولبي. كل هذا مذهل. لكن عندما عرض الفيلم في التليفزيون ماذا بالضبط مع مستوى فني أقل. حتى الكائنات (بقي منه؟. نفس قصة (الرقص مع الذئاب الفضائية بدت أقل مصداقية عندما فقدت تجسيدها.

لن تكف السينما عن محاولة جذبك لمغادرة بيتك، لكن ما يبقى في النهاية هو ماذا قال الفيلم وكيف تم تصويره وإخراجه، وماذا فعل الممثلون؟

جورج الوحيد

... أنت شخص وحيد ... وحيد بالمعنى الكامل للكلمة
... لا أحد يستمع للأغاني التي تعشقها ... لا أحد قد قرأ ما قرأت أنت من كتب
... لا أحد يضحك على النكات التي تجدها أنت ظريفة
لديك ذكريات لكنها كعملة أهل الكهف لا قيمة لها اليوم، ولا أحد يريد سماعها برغم أنك
... تجدها ثمينة جدًا

أصدقاء الماضي رحلوا واحدًا تلو الآخر . تغيرت الأماكن والاهتمامات. أنت صانع طرابيش
رائع . أنت صانع سيوف بارع. لا أحد يريد ما تجيد عمله ولا يتعاملون به، برغم انك أفضل
.من يقدمه

تتساءل عن اليوم الذي يستعيد فيه الناس وعيهم ... متى يسترجعون جمال الماضي؟.
... متى تعود أنت مهمًا؟. لكن هذا لن يحدث أبدًا

في النهاية انت تتجه إلى النهر المظلم. النهر الذي عبره كثيرون من قبلك ولم يعودوا. سوف
.. تعبر إلى الجانب الآخر وسوف ينساك الجميع

سيد القراصنة

عالم القرصنة على الأفلام معقد متشابك وله قوانينه الخاصة، وقد كان سيد القراصنة بلا أؤمن أن قصة حياته تصلح فيلمًا ممتازًا من طراز Axxo جدال رجلاً غامضًا يدعى أكسو ليس هذا المقال دعوة للقرصنة طبعًا، لأن صانعي الفيلم يجب أن يستردوا .السايبربانك مالهم ويكسبوا ليصنعوا الفيلم التالي، لكني أحتفظ ببعض التحفظ بالنسبة للأفلام الغربية ودول العالم الثالث الفقيرة مثلنا. كيف يرى مخرجونا الشباب فيلمًا مكسيكيًا أو صينيًا أو صربيًا؟ لا توجد طريقة أخرى.

ربما كان هناك إنسان في العالم يعرف من هو .هذا حديث مسل عن لغز ممتع لم يحل قط وهذا الشخص يعرف تفاصيل القصة كلها، وعلى الأرجح - أكسو - غير أكسو نفسه طبعًا سيأخذ السر معه.

ومن الصعب جدًا DVD أنت تعرف أن الأفلام تطرح في السوق على شكل أقراص رقمية القرصنة عليها. كان لصوص الأفلام في ذلك الزمن يلجئون لطرق (بلدي) جدًا مثل تصوير الفيلم بكاميرا خفية في قاعة السينما، ولهذا كنت تسمع تعليقات الجمهور أو تنهض سيدة بدينة لتمر أمام السفاح الذي يتسلل وحده في ظلام القبو، أو تقف أمام ليوناردو دي بنجاح يتفاوت. واحد فقط DVD كابريو وهو يقبل كيت وينسلت. هناك من جربوا سرقة ال استطاع أن يسرق الفيلم على شكل ملف واحد عالي الجودة (صورة وصوتًا) حجمه ثابت هذا الرجل هو أكسو .، ثم يضعه على موقعه للتحميل مجانًاavi وهو ٧٠٠ ميجا، وله امتداد الذي سمع الناس عنه أول مرة عام ٢٠٠٥.

لابد أن أكسو كان يعاني مرارة شديدة ضد صناعة السينما، لأنه كان يدمرها بنشاط وحماسة. ربما كان لديه هاجس يوحي له أنه روبين هود الذي يسلب الأثرياء ليمنح الفقراء، من 33% وعلى كل حال سرعان ما وجد كثيرين يعتبرونه كذلك. في فترة من الفترات كان الملفات التي يتم تحميلها في مجتمع القرصنة هي ملفات أكسو.

يصعب فهم لماذا يفعل ذلك. هل من اجل الشعور بالتفوق؟. كيف تشعر بالتفوق بينما لا أحد يعرف من أنت؟. هل للانتقام كما قلنا؟. ربما. على كل حال كان من الواضح أن منتجين كثيرين كانوا يطلبون رأسه، ولربما أرسلوا وراءه قتلة مأجورين فعلاً. المؤكد أن الاستخبارات المركزية حاولت كثيرًا أن تعرف من هو.

من هو أكسو فعلاً؟

هناك ملف صغير يضعه دائمًا مع الملفات التي يسرقها وفيه خطأ في اللغة الإنجليزية يوحي

بأنه لا يتكلم الإنجليزية كلغة أولى. قال كثيرون: إنه هندي أو صربي. على كل حال هناك كثيرون انتحلوا شخصيته طلبًا للشهرة، او لجذبك إلى موقع يعج بالفيروسات. أحيانًا يرغمك الموقع على تحميل برنامج خاص لمشاهدة الفيلم، وطبعًا يحتوي الملف على أحد الفيروسات من خيول طرواده Trojan horses.

توقف اكسو عن رفع أفلام جديدة عام ٢٠٠٩. وقد ارسل رسالة اعتذار قصيرة لمحبيه. لا احد يعرف اين هو اليوم. هل هو حي؟. هل هو خارج السجن؟. هل توقف نهائيًا؟

وصار أكسو تاريخًا، مع الوقت تطورت سرقة الأفلام وظهرت أفلام البلو راي وملفات Mp4 لكن أحدًا لا يستطيع نسيان هذا الاسم. إنه لص لكنه لص بارع. لذا لا تستطيع معاملته نفس معاملة اللص الذي يضبط على ماسورة وهو يحمل دجاجة سرقها من على السطح.

كأن اكسو كان نبيًا لدين جديد، فقد كتب له أحد المحبين:

"أكسو هو اسمك. يا من تقبع في مينينوفا. فلتأت ملفاتك ولسوف نتقاسمها. وابعدنا عن جمعية الأفلام الأمريكية، لأن سرقة الأفلام ورفعها والمجد لك أبد الآبدين!".

فى مصر لا تكن المهم ان تبدو

.. أنت في مصر .. لا تكن .. المهم أن تبدو. والآن خذي الكتاب وابتعدي

في مصر لا تكن .. المهم أن تبدو

الآن مرت أعوام منذ كان ابني في الصف السادس الابتدائي، عندما كتبت في جريدة شهيرة قد مرت أعوام أربعة، .مبديًا الذهول والقرف الشديدين من كتاب الكمبيوتر المقرر عليه وابنتي في الصف السادس الآن .. فلابد أن الوزارة تداركت أخطاء الكتاب القاتلة، ولابد أن العلم تطور، ولابد أن كل شيء صار رائعًا.

.. تعالي يا ابنتي نستذكر هذا الدرس معًا .. هاتي الكتاب
هنا بدأت أدرك الحقيقة المرعبة: الكتاب لم يتغير فيه شيء .. حتى لأكاد أسمع الشاويش عطية وهو يتأمل إسماعيل يس في شك، ثم يقول وهو موشك على البكاء: "هو بعينه وغباوته وشكله الغلط !" فقد عرفه عبر الأفلام وأدرك الكارثة القادمة.

الغلاف – ذات الغلاف – عليه عشرة أسماء كأنهم مخترعو الكمبيوتر، أو كأن هذه أول ترجمة وطبعًا Sinia inspector هو (أمينة للأوديسة. على الغلاف نكتشف أن الأستاذ (مجدي حنين كما سمعها الأخ الذي كتب الغلاف فكتبها حرفيًا على طريقة محلات Senior هذه هي Sinia العصير. Concellar of the minister's أما الأستاذة (نادية حجازي) فتعمل

هكذا .. مهنة لا نعرف ما هي، لكنها تخص شيئًا ما للوزير.. هل هي مستشار الوزير ؟.. إذن لماذا تضع حرف الملكية يا أخي ؟ وما هذا الهجاء الغريب لكلمة councilor ؟

إخراج الكتاب بدائي وقبيح جدًا كأنه مخصص ليتلقى أولادنا درسهم الأول في القبح. الأخطاء لا تنتهي .. مثلاً هناك إصرار جهنمي على Row material بدلاً من Raw Material. أي المواد التجديفية لا المواد الخام.

تأمل هذه المعلومة: "الأقمار الصناعية تتجسس على أية أمة. وسائل الاتصال تنقل كل ما تريد من معلومات زائفة عن دولها. يتم التلصص على الأفكار والمعلومات، وليس بوسع

أحد منعها. والغرض الرئيس هو الاقتصاد". فهمت حاجة ؟.. أما أمثلة عيوب المعلومات فهي : الإنترنت – الاختراق. هل الإنترنت من عيوب المعلومات ؟.. وهل تتساوى بالاختراق ؟.. مثلاً هل يتساوى البرتقال بسرطان المثانة ؟

:مخاطر أجهزة الكمبيوتر عندما تتصل بالنت هي

1-Dangers that personal computers have when join to the internet.

؟... هناك أربعة راجعوا وأربعة قاموا بالترجمة، ولا when join to هل هناك حقًا شيء اسمه : يمكن أن يخطئوا .. الحل الوحيد هو أنني أحمق. وهم يفاجئونني بتعبير عبقري آخر

2–Lack of experience when dialing with some programs

عليك أن تكون عبقريًا طيلة الوقت وتحاول استنتاج ما وقر في .. dealing طبعًا يريدون قول صدورهم. ثم هل هذا خطر يتعرض له الكمبيوتر أم هو نقطة ضعف تمهد لهذا الخطر ؟.. لا فارق فالكلام لا معنى له، وليس سرًا أن كل مدرسي الكمبيوتر للصف السادس يبدءون السنة بشتيمة الكتاب قليلاً والدعوة على مؤلفيه، ثم يعلنون:

"دعوكم من هذا السخف، وسوف نكتفي بالنقاط التي ألخصها لكم."

:أما عن اتقاء أخطار الإنترنت فله طريقة عبقرية

Using programs to discover and erase these programs.

:أي أننا سوف نستعمل برامج لمسح البرامج ..جميل جدًا. ثم عليك كذلك أن تأخذ الحذر

Taking care in receiving E-mail messages that contain enclosed.

بس كده .. لم يقل ما هو المغلف .. يعني خذ بالك من البريد الإلكتروني الذي يحوي (....) مغلفة ..

When putting a program on the set from a site on the net.

هذه جملة تامة وليست مقتطعة. عندما تضع برنامجًا على الجهاز من موقع على النت................ تعمل ايه ؟.. ليس من حقك أن تعرف فالجملة انتهت، وأنت مصري لا تستحق أكثر.

.. زهقت ؟.. تذكر أننا لم نتجاوز صفحة ١٤ بعد، بينما الكتاب ١٩٠ صفحة

:الآن نعرف ما هي الملكية الفكرية

Mental property is protection private thinking of the program thing it made.

(الملكية الفكرية هي الحماية التفكير الفردي لشيء البرنامج الذي صنعه)

أي مدرس لغة إنجليزية سوف يسمم أولاده ثم يطلق الرصاص على رأسه لو قرأ هذه ؟ program thing it madeالجملة، وهذا الخلط الفاحش في الأفعال والأسماء. وما معنى

.الغبية التي يصر عليها الأجانب Maybeبدلاً من May byإضافة جميلة أخرى هي

Internet is join amory many nets and base in most countries

.تعبير عبقري آخر لا أعرفه لأنني رجل طنطاوي Amory manyيبدو أن

كان هناك .أعتقد أنهم حذفوا أسماء الفيروسات العجيبة التي كانت في الكتاب القديم وهي الترجمة الحرفية لاسم (فيروس خيول طروادة).. فالسادة trwada virus فيروس اسمه وكلمة ، trojanالخبراء لم يعرفوا أن طروادة ينسب لها في الإنجليزية بلفظة تروجان (تروجان) دخلت العربية ويستعملها الجميع ويعرفها أي طفل يلعب في ناد لألعاب الفيديو، ما عدا أربعة المترجمين الأعزاء الذين يترجمون على طريقة (دو يو سبيك لندن ؟). فقط طروادة)تخيل أن تنقش هذه الكلمات في صدر الأطفال، ويقف الفتى أمام العالم ليقول (فيراس .

هناك من سيقول لي إنها أخطاء غير قاتلة، و(لا تكن متحذلقًا).. الخ. لكن هل تجد هذه ثم ما نتيجة هذا الهراء .الأخطاء بسيطة فعلاً ؟.. إنها كافية لتجعل النص مستحيل الفهم والتفكك على عقول أطفالنا ؟. إنهم يتنفسون تصميمًا فنيًا رديئًا ولغة رديئة ومعلومات رديئة ومنطقًا رديئًا. وأنا أتكلم عن كتاب الكمبيوتر فقط، بينما لم أر الكوارث التي تنتظر في كتب اللغة العربية والتاريخ والعلوم. وكيف تمر أربعة أعوام والكتاب ما زال يحتفظ .بذات الأخطاء ؟

في مصر لا يهم أن تكون بل أن تبدو .. تبدو مصرًا على أن يلحق أولادك بالعصر، وأن يجتازوا الفجوة العلمية، وأن يصير الكمبيوتر في دمهم، لكن ما يحدث فعلاً هو هذا السخف. سبوبة نفس سياسة سد الخانات التي نعرفها .للحصول على بعض المال دون جدية من أي نوع

جيدًا. والمهم أن يبدو الأطفال جميلي المنظر وهم يحملون كتب الكمبيوتر، كأننا في اليابان يا اخواتي.

أنت في مصر .. لا تكن .. المهم أن تبدو. والآن خذي الكتاب وابتعدي يا ابنتي .. أعترف بأنني لا أفهم شيئًا على الإطلاق، ولا أستطيع تقديم أي عون لك. لكن المهم أن أبدو لأمك كأنني أساعدك.

الجزء الرابع

فتنة إنفلونزا الخنازير

امرح مع إنفلونزا الخنازير

وما زلنا مع إنفلونزا الخنازير موضوع الساعة وكل الساعة ..



يصر وزير التعليم علي عدم تأجيل الدراسة أكثر، وهو يضع ثقة كبيرة جدًا في الأربعين مليون جنيه التي سيدعم بها الصحة المدرسية، ويعلق ملصقات تذكرنا بملصقات الاتحاد الاشتراكي القديمة: هناك رجل يخرج بالونا عملاقا من فمه ورجل آخر يسد أذنيه مع عبارة (الإشاعات تدمر المجتمع) ... الخ ... فقط سوف يرسم الفنان كل هؤلاء يعطسون. ينوي الوزير كذلك أن يعطي الأولاد جرعة تعليمية مكثفة قبل أن يعم الوباء في الشتاء. ويؤكد: « ليس من حق أولياء الأمور المطالبة بمصاريف أولادهم التي دفعوها في المدارس الخاصة بالذات، بسبب الخوف من تفشي المرض». تم تأجيل الدراسة أسبوعًا لإعطاء الفرصة للحالات التي ستظهر لدي عودة المعتمرين، وهم يرون أن هذا وقت كاف، ورأيي المتواضع أنه غير كاف علي الإطلاق،

وأعتقد أن الأهالي سوف يحجمون عن إرسال أطفالهم للمدارس سواء أرادت الوزارة أو لم ترد.

من جهته أظهر الشيخ (علي جمعة) مفتي الجمهورية شجاعة واستنارة لا شك فيهما عندما قال: « لو انتشر فيروس (إنفلونزا الخنازير) بصورة كبيرة يتم وقف الحج فوراً، ويكون حراماً علي أي فرد الدخول أو الخروج من البلاد الموبوءة



بالمرض. وأضاف: حدث قبل ذلك أن عطلت مصر موسم الحج ٣٠ مرة علي مدار تاريخها الإسلامي، سواء بسبب انتشار الأوبئة أو لوجود قطاع طرق أو للغلاء. عالمًا بهذا أنه يستفز كل من يتحدثون عن مؤامرة الغرب والدولة لمنع الحج، ولسوف يتهمونه اتهامات جاهزة يحفظونها أفضل مني، لكنه ببساطة قال ما يؤمن بأنه صواب. هذا رجل محترم فعلاً..

كالعادة ظهر الداء المصري الوبيل المعروف الذي يدفع المرء لاختيار مصلحته مهما تعارضت مع مصلحة المجتمع، فينتزع مسامير السفينة لبيعها. هذا الداء هو الذي يدفع الناس لتعاطي عقار تاميفلو بشكل فردي في بيوتهم وعلي سبيل الوقاية. برغم سعره الباهظ هناك من اشتراه للاحتياط، وهذا يهدد بأن يفقد فعاليته نهائيًا بعد قليل. تذكر أن عقار أمانتادين الرخيص نسبيًا كان فعالاً ضد إنفلونزا الخنازير حتي قرر الصينيون استخدامه كعقار وقائي في مزارع الدجاج .. لم يطل الأمر حتي صار الفيروس يقاوم هذا العقار، وحذف الأمانتادين من ترسانة الأدوية المضادة لإنفلونزا الطيور للأبد. نرجو أن يظل التاميفلو باهظ الثمن فلا يشتريه الجميع وإلا لقي العقار نهايته علي يد المصريين.

بدأت حرب الشائعات والرسائل المتناقلة عبر الإنترنت مبكرًا جدًا، حتي شعرت بدهشة لأن الوباء لم يكن معروفًا لنا قبل مايو الماضي، لكن فجأة صار الجميع عباقرة يعرفون خواصه، ومن الواضح أن هذا الوباء قد جلب الكثير من التسلية للناس .. موضوع (فاروق حسني) قد يشغلهم بعض الوقت، لكنهم بالتأكيد عائدون لإنفلونزا الخنازير. إما أن تصدق أننا في خطر داهم وترتجف ذعرًا وتقطع شرايين معصمك، أو تعتبر هذه كلها مؤامرة مخصصة لزيادة مليارات رامسفيلد وتشيني وتطلق السباب. السؤال هو: من أين يأتون بهذه المعلومات الدقيقة، وكيف يتكلمون بهذه الثقة، بينما المواقع العلمية المحترمة لا تقول إلا أقل القليل ؟. لكن المعلومات المتدفقة لم تتوقف بعد.

ما يمكن استنتاجه من خطابات الإنترنت ما يلي:

1- الفيروس سهل القتل جدًا وأمره هين بشدة .. كل شيء

يقتله سواء كان البصل أو الليمون أو الينسون أو البيكربونات أو العجوة، وهو ليس مشكلة علي الإطلاق حتي أن الدول المتقدمة لا تتعامل معه بهذه الهستيريا وهذا الذعر اللذين نتعامل بهما.

2- الفيروس خطير جدًا .. سوف يقتل ٤٥٪ من سكان الكرة الأرضية في الشتاء القادم. كل الدول المتقدمة تدرك حجم المشكلة وتتعامل معها بعقلانية، لكننا لا نفهم.

3- لا يوجد ضرر من شرب الينسون الدافئ صباحًا للوقاية من إنفلونزا الخنازير، لكن دعني أؤكد لك أنني لم أجد أي موقع علمي محترما يصف هذه الطريقة. جرب البحث في محرك جوجل عن إنفلونزا الخنازير مع الينسون واسمه العلمي Pimpinella anisum ، وقل لي هل يوجد شيء لم أجده أنا ؟.. ما هو موجود يكرر ما ذكره مصدر واحد غير طبي. لكن المواقع العربية تتحدث عن أن المكتشف عالم صيني، بينما المواقع الغربية تؤكد أن العلماء العرب هم من وجدوا هل يحوي الينسون كمية عالية من حمض الشكميك ..!!هذا



المكون الرئيسي للتاميفلو فعلاً ؟.. وهل shikimic acid
الصيني ذاته ؟... Star anise الينسون الذي نشربه هو نبات
لاحظ أن سبب ارتفاع ثمن عقار تاميفلو هو ندرة هذا
النبات الذي لا يزرع إلا في أربع محافظات صينية، فهل الحل
بهذه البساطة ؟.. علي الأرجح هي تخريفة كبيرة، لكن لا ضرر
منها علي الأقل. أنا شخصيًا سأنفذ هذه النصيحة مع أولادي
قبل ذهابهم لميدان الحرب البيولوجية الذي سيرسلونهم
له في ٣ أكتوبر، لأنها تحوي منطقًا علميًا حتي لو كان واهيًا
..

رسالة أخري منسوبة لطبيب مهم – مصري في بعض -4
تؤكد أن الوقاية من إنفلونزا - الرسائل وسعودي في بعضها
الخنازير سهلة باستعمال ملعقة صغيرة من مادة بيكربونات
الصوديوم المذابة في الماء قبل الخروج إلي الأماكن
المزدحمة، إذ تساعد هذه المادة في ارتفاع قلوية الدم
وبذلك يصبح وسطاً غير مناسب لتكاثر فيروسات الأنفلونزا .
ويجري تجربة مبهرة جدًا يعرفها أي تلميذ في تالتة ابتدائي
حيث يكتشف أن لون عباد الشمس (تبّاع الشمس حسب
الخطاب لأن عبادة الشمس حرام) يصفر في الوسط
الحمضي. ألعاب الحواة الساذجة هذه تبهر كاتب المقال جدًا

.. ويكتشف أن علينا التقليل من تناول الأغذية التي تؤدي إلي زيادة حموضة الدم مثل اللحوم الحمراء والدواجن ومنتجات الألبان والسكر والشاي الأحمر والقهوة واستبدال قهوة الشعير بالقهوة، والشاي الأخضر بالأحمر. كل نصيحة تتضمن الابتعاد عن الشاي والقهوة واللحوم الحمراء تبدو صحيحة محببة للأذن مهما كانت قيمتها. لكن أي طبيب يعرف أن الرقم الهيدروجيني للدم ثابت وأن ارتفاعه ليصل للقلوية يقترب بالمرء من الموت، والجسم يعادل تغيرات الرقم الهيدروجيني بكفاءة بالغة بحيث لن تؤثر ملعقة بيكربونات أبدًا. كل ما سيحدث هو أن المرء سيشعر براحة لو كان يعاني حموضة بالمعدة. ثم متي جربوا هذا كله ؟.. هل سمعت عن طبيب مصري تعاطي البيكربونات ثم راح يتنفس الهواء الذي يتنفسه مرضي إنفلونزا الخنازير ليري هل يقاوم المرض أم لا ؟.. كما تري هو نوع من طب المصاطب الذي لا يستند إلي أي شيء، وهو فرع الطب الذي شرفنا بإضافته للعلم، وبرغم أنني طبيب فإنني أعترف بخجل أن هناك مجانين في هذه المهنة. ليسوا أكثر من سواهم في مهن أخري، لكن المخيف أنهم يبدون مقنعين للعامة.

5- اللقاح خطر داهم .. هذه نقطة يجب التوقف عندها.



بالطبع لم تجر علي اللقاح تجارب كافية بسبب ضيق الوقت، ولهذا كان علي الشركات المنتجة له أن تؤمن نفسها حتي لا تفلسها التعويضات، والسبب هو أن لقاحًا سابقًا سبّب مرض)جيان باريه) في الغرب عام ١٩٧٦. هذا مرض مناعي يؤدي لتدمير الأعصاب الطرفية كنوع من الحساسية لفيروس أو بروتين دخيل. لهذا تطلب الشركات إقرارات بإخلاء مسئوليتها من أي آثار جانبية للقاح، وهو نفس ما فعلته وزارة الصحة مع الحجاج.

تعرف ما سيحدث ؟

أنت تعرف ما سيحدث لو تفشي وباء إنفلونزا الخنازير أكثر من هذا في مصر. الالتزام بالتعليمات الصحية.. عندما تري بناية حديثة، وقد علقت جوار المصعد في كل طابق ورقة تتوسل للسكان كي يدفعوا رسوم الصيانة، وهي غالبًا عشرون جنيهًا في الشهر يأبي أن يدفعها من دفع نحو المليون ثمنًا لشقته. وهكذا يتلف المصعد وتملأ القذارة الممرات ويتعطل موتور المياه، وتتحول البناية إلي خراب ينعق فيه البوم. عندما تري هذا يصعب عليك أن تصدق أن الناس يمكن أن تسلك اليوم مسلكًا حضاريًا يقتضيه العقل والمصلحة العامة

طبيب صدر من أصدقائي فحص بعض المرضي ..أنت تعرف ما سيحدث في المستشفيات وتخلص من القناع في القمامة، فزجرته الممرضة قائلة إن هذه الأقنعة يتم جمعها في نهاية اليوم للاستعمال ثانية

وأدرك في هلع أنه وضع علي أنفه قناعًا تنفس فيه العشرات من قبله. كنت عائدًا من الخارج فاستوقفتني ممرضة تعسة مرهقة تقف وراء دكة، وعلي أنفها قناع متسخ ملوث بالإفرازات، لتدس ترمومترًا رقميًا في أذني لربع ثانية ثم تقول

«إنت كويس. عدي»

قلت لنفسي إن هذه الممرضة التعسة هي الحاجز الذي يصد الوباء عن مصر إذن.. فكيف أطمئن؟. لقد تقدمت طرق فحص القادمين نوعًا، لكن طريقة التفكير هي ما يقلقني

برغم الدلائل المخيفة والعلامات المقلقة، يصر وزير التربية والتعليم بعناد اعتادته الحكومة علي أن الدراسة ستبدأ في موعدها شاء من شاء وأبي من أبي، وبرغم توسلات ورجاء المواطنين، وتذكيرهم له بأن العملية التعليمية لا لزوم لها أصلاً و(مش فارقة). نحن نعرف الكارثة التي ستحدث في المدارس، حيث لا تهوية ولا إضاءة ولا شيء، وعندما يموت الطفل المئة سوف يقولون: «فعلاً.. كان من الواجب أن نؤجل الدراسة قليلاً».. لكن تصريحات الرئيس مبارك مؤخرًا توحي باهتمامه بالموضوع، ما يدل علي أن سيناريو (الرئيس ينقذنا من تعنت وزرائه) سوف يتكرر هذه المرة غالبًا. وبالفعل تم تأجيل الدراسة أسبوعًا أعتقد أنه قابل للتمديد. لكن المشكلة الحقيقية هي الدروس الخصوصية.. يجب ألا ننسي أن كل مدرس قد افتتح مدرسة في بيته، وعدد الطلاب في المجموعة الواحدة لا يقل عن أربعين لدي البعض

المشكلة هي أنك لا تتبين الحقيقة أبدًا بين حكومة تكذب دومًا وأقارب مريض ينكرون كل شيء، ويتهمون الحكومة طيلة الوقت. المهم الصراخ والتشكيك.. كانت مصر خالية من إنفلونزا الطيور بشهادة منظمة الصحة العالمية، فكتبت كل الصحف المعارضة والمستقلة عن الحكومة التي تتكتم وعن القري الكاملة المحاصرة التي تموت بإنفلونزا الطيور. بعد هذا بأشهر غزت إنفلونزا الطيور مصر فخرجت صحف المعارضة تؤكد أن الوباء لا وجود له ووهم ..كبير، وخرجت مظاهرات أصحاب مزارع الدجاج يلوحون باللافتة الشهيرة: لمصلحة من؟

يقول زوج أول ضحية توفيت بإنفلونزا الخنازير في مصر إن زوجته لم تصب بهذا المرض، ولم تعان من أمراض أو أزمات قلبية علي مدار السنوات الثلاث الأخيرة. هذا كلام يناقض نفسه، فالرجل يؤكد لنا أن زوجته لم تصب بإنفلونزا الخنازير، لكنه في الوقت نفسه ينفي عنها أي مرض آخر.. إذن كيف توفيت؟... اتهم الزوج وزارة الصحة بفبركة مرض زوجته، سعياً

لإلغاء موسم الحج والعمرة هذا العام. والسؤال هنا: ما الذي تستفيده وزارة الصحة من إلغاء موسم الحج؟.. هل هم مجموعة من كفرة قريش؟

هنا يأتي التفسير في نظرية المؤامرة الشهيرة.. في نفس الصفحة يرد أحد القراء: «نما إلي علمنا أن الدول العلمانية تود أن تحتكر أو تحاول جمع أموال المسلمين التي سوف تصل للمملكة العربية السعودية عن طريق الحج والعمرة وذلك لسد بعض الفائض المهدور من أموالها ومحاولة لإنقاذ الحالة الاقتصادية العالمية وذلك بحجب الأموال عن الحج والعمرة بسبب التغطية الإعلامية لفيروسات وهمية الكينونة. عامةً دون أن أطيل: الفيروس ممكن القضاء عليه بالبصل والليمون أما باقي الفائض العالمي سوف يوجه إلي شركات المحمول والفضائيات أو الدولة الحديثة. وربنا يرحمني». هذه هي لهجة العلم المطلق التي تثير غيظي.. ومع أنني لم أفهم نهاية العبارة الملتفة، فمن قال لك إن الفيروس يباد بالبصل والليمون؟ ولماذا لم تقم بتسجيل براءة هذا الاختراع العبقري؟

هناك كذلك نغمة أن الموت موعد مكتوب لا مفر منه، فمن قلة الإيمان أن نحاول تعطيله. الذين قالوا هذا كانوا أول من هرع ليعالج في الخارج عندما مرض. الله يأمرنا باجتناب الأذي وأن نتداوي.. هذا شيء بدهي لكننا ننساه

أذكر حادثة صغيرة وقعت منذ ثمانية قرون، في العام ١٣٤١ ظهر وباء الطاعون الأسود زاحفًا من قلب آسيا، بدأ الكابوس بمجموعة من التجار الإيطاليين العائدين من الصين، طاردهم التتار فاضطروا للفرار نحو أسوار ميناء كافكا. دام حصار التتار للتجار ثلاثة أعوام وفي ذات يوم نفدت مقذوفات التتار مما جعلهم يستعملون نوعًا جديدًا من القذائف: جثث من ماتوا بالطاعون في صفوفهم..! هذه كانت أول حرب بيولوجية في التاريخ. وهكذا بدأ الوباء.. ثم عاد التجار الإيطاليون فارين لبلادهم، فبدأ الوباء يزحف معهم نحو العراق والأناضول ومصر وشمال أوروبا.. وبسببه خلت غزة وجنين ونابلس من سكانها

عام ١٣٥٠ أعلن البابا كليمنت السادس تحديد العام للحج إلي الفاتيكان طلبًا لرفع الوباء عن المسيحيين؛ ولكي يتطهر الناس من الخطيئة. هذه كانت أسوأ فكرة ممكنة؛ لأن مليونًا ونصف المليون من الحجاج قصدوا الفاتيكان، لم يعد منهم سوي العُشر

خلاصة القصة: عندما ينتشر الوباء، فليس من الحكمة أبدًا أن تضع ملايين البشر في مكان واحد، وهذا ينطبق علي الحج والعمرة والمدارس والمباريات ودور السينما وكل شيء.. نحن في ظروف حرجة وعلينا أن نتعامل علي هذا الأساس

يمتلك فيروس إنفلونزا الخنازير
«H1N1»
خاصية رهيبة تتميز بها فيروسات الإنفلونزا (أ) عامة، هي أنه يقوم داخل الخلية بتفكيك نفسه إلي ثمانية أجزاء ويقوم بتبادلها مع فيروس آخر فيما يدعي بعملية إعادة التصنيف
Reassortment
وهكذا يولد فيروسان جديدان تمامًا.. يمكن تخيل اختلاط الفيروسات القادمة من الصومال مع القادمة من ماليزيا ومصر وألمانيا وتركيا.. أي أمزجة عبقرية تقاوم أي علاج سوف تنتج؟

تبدأ البشائر مع إصرار أصحاب الموالد - مسلمين كانوا أو مسيحيين - علي إقامة الموالد في موعدها مهما كان الثمن. ليس الموضوع حماسًا دينيًا خالصًا ولكن الحسابات الاقتصادية تلعب دورًا مهمًا هنا

لكن ماذا عن الحج والعمرة؟.. لقد اتخذت وزارة الصحة قرارها وانتهي الأمر، لكن يجب هنا ذكر حقيقتين: تقريبًا معظم الحالات في مصر عائدة من السعودية أو اتصلت بشخص قادم من السعودية، ويسهل التأكد من هذا بمراجعة الأخبار.. الحقيقة الثانية التي يتناقلها الأطباء المصريون شفويًا؛ هي أن المرض متفش بشكل واضح في السعودية. هل مصر قادرة فعلاً علي عمل حجر صحي محكم لكل عائد من الحج والعمرة؟.. وهل هي قادرة علي فرز الذين هم في فترة الحضانة ولم ترتفع حرارتهم، ويمكنهم المرور بسلام من أي مسبار حراري؟

الحقيقة الثالثة هي أن السلطات السعودية فعلت شيئًا مشابهًا من قبل، فمنعت في عام ٢٠٠١ مواطني أوغندا من دخول الأراضي المقدسة لأداء مناسك الحج نتيجة انتشار مرض الإيبولا القاتل في البلاد، كما ألزمت عددًا من الدول الموبوءة بتقديم شهادة تطعيم ضد الحمي الصفراء سارية المفعول، وشهادة أخري تفيد بإبادة الحشرات والبعوض علي الطائرات القادمة من هذه الدول، كما منعت حجاج هذه الدول من جلب أي مواد غذائية معهم

روي مالك أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ رأي امرأة مجذومة تطوف بالبيت، فقال لها: يَا أمة الله لا تؤذي الناس لَوْ جَلَسْتِ في بيتك فجلستْ، فمر بها رجل بعد ذلك، فقال لها: إِنّ الّذِي كَانَ قَدْ نَهَاكِ قَدْ مات فَاخْرُجِي، فَقَالَتْ مَا كُنْتُ لأطيعه حيًا وأعصيه مَيِّتًا. هكذا قدم عمر بن الخطاب سلامة المسلمين علي الطواف

الخلاصة: يجب أن ننتظر العائدين من العمرة، وهم يشكلون عينة صغيرة لما سيحدث بعد موسم الحج، وسوف يكون استقبالهم بروفة مصغرة لما تقدر وزارة الصحة علي عمله. يجب أن يكون بروتوكول الحجر الصحي صارمًا.. يجب أن تكون التعليمات الصحية جزءًا ثابتًا من خطب الدعاة حتي يثبتوها في الأذهان، ولنأمل أن ينتهي هذا الكابوس، فلا يقول من يبقي منا حيًا بعد عام: ليت الحكومات كانت أكثر صرامة وتشددًا

هبوط حاد

علمونا فى الطب الشرعى أيام الكلية أن تقرير الوفاة -مهما تعددت الأسباب- ينتهى بعبارة أن هذا حدث نتيجة هبوط حاد فى الدورة الدموية والتنفسية. مهما كانت طريقة الموت سواء مزق قطاع الطرق الرجل بطلقات الآلى على الطريق الدائرى، أو داس عليه قطار، أو أصيب بالتهاب رئوى أو نوبة قلبية.. دائمًا هناك مصب واحد نهائى اسمه «هبوط حاد فى الدورة الدموية والتنفسية»، وهذا المصب يعتبر مخرجًا ممتازًا لمن لا يعرف سبب الوفاة أو يريد تجاهله. يموت السجين بعد ما تلقى علقة ساخنة بالأحذية والكهرباء، فتكتب الإدارة: «هبوط حاد فى الدورة الدموية والتنفسية». يموت المريض ولا يجد الطبيب تفسيرًا لوفاته فيكتب أن سبب الوفاة «هبوط حاد فى الدورة الدموية والتنفسية». مع عدم وجود تشريح يموت المصريون جميعًا بهبوط حاد فى الدورة الدموية والتنفسية فقط ولا يوجد سبب آخر.

تذكرت هذا عندما قرأت فى جريدة الشروق – تاريخ ١٨ يناير ٢٠١٤- أن وزارة الصحة قالت إن وفاة الطبيبة دعاء إسماعيل محمد أحمد بالوحدة الصحية بكفر مجاهد – مركز السنبلاوين، محافظة الدقهلية، جاءت نتيجة تدهور فى مؤشراتها الحيوية عقب إصابتها بسعال وضيق فى التنفس، نافية ما نشرته مواقع إخبارية ومواقع للتواصل الاجتماعى حول انتقال عدوى بفيروس قاتل إليها. الطبيبة المتوفاة تبلغ من العمر ٢٥ عاما، وكانت حاملاً فى الأسبوع



٣٧ ولا تعانى أى أمراض، وفى يوم الجمعة الموافق ١٠ يناير الجارى شعرت بضيق فى ساعة كانت قد نقلت للمستشفى حيث لاقت ربها. وتنفى 24التنفس مع سعال وخلال الوزارة فى كبرياء أن تكون الطبيبة أصيبت بفيروس قاتل، بل هى توفيت بسعال وضيق تنفس!.. يا سلام!.. من أين جاء السعال وضيق التنفس؟... هناك أسباب عديدة للسعال وضيق التنفس طبعًا، لكن الخبر يعتبر أن هذين العرضين ينفيان احتمال الإصابة بفيروس!

وهذا الارتباك يشى بأن الوضع .هناك درجة واضحة من الارتباك فى بيانات وزارة الصحة سىء أو سيسوء. الوزارة تصر على أن ما يجتاح المسشفيات ويقتل المرضى والأطباء عدوى تنفسية عادية، ومصر خالية من الفيروسات القاتلة، بينما يعرف أى طبيب أن هذه حالات انفلونزا خنازير، وتقارير مختبرات وزارة الصحة تقول بوضوح إن هذا فيروس H1N1.

يكره المرء أن يقول إنه كان محقًا، لكننى كتبت مرارًا عن أن انفلونزا الخنازير مرض حقيقى مخيف، أودى بحياة كثيرين، لكن نظرية المؤامرة سيطرت على الناس فراحوا يتحدثون عن المرض المختلق الذى لا وجود له، وعن عقار تاميفلو الذى يحقق المليارات للشركات النصابة، وعن لقاح انفلونزا الخنازير الذى يسبب تخلفًا عقليًا وتحللاً فى المخ.. كتبت عن هذا كثيرًا جدًا فى ايام مبارك، وقد تراجع الخطر لعامين ثم عاد يطل برأسه، أما انفلونزا الطيور فلم تتراجع لحظة.

على كل حال ينبغى أن يرفع المرء درجة الشك لديه كلما أصيب بانفلونزا يصاحبها إسهال أو إرهاق واضح أو تكسير رهيب فى العظام.. أو إنفلونزا بدون تلك الأعراض اللعينة المألوفة مثل العطس وانسداد الأنف.. فى مستشفيات الصدر لا ينتظرون طويلاً قبل بدء عقار تاميفلو، لأن المريض قد يتدهور بسرعة البرق قبل أن تصل نتائج العينات المرسلة لوزارة الصحة، وغالبًا ما يتضح أنها إيجابية.

بما أن الشىء بالشىء يذكر، فقد حان الوقت لنتكلم عن شهداء الأطباء الذين فتكت بهم عدوى تنفسية غامضة...هذا يذكرنا بالإيطالى كارلو أوربانى الذى اكتشف مرض SARS التنفسى ومات به. لقد صار العدد يتزايد فى كل يوم. هل هى انفلونزا الخنازير؟.. هل هو

التى MRSAفيروس كورونا الذى نستورده من السعودية؟.. هل هى بكتريا ستاف أورياس تقاوم كافة المضادات الحيوية والتى صارت مشكلة مرعبة فى العالم كله؟

هناك تضارب معلومات شديد.. لا يمكن تبين الحقيقة وسط هذا الضباب. لكن شبكة الإنترنت تغلى غضبًا خصوصًا بعد استشهاد د. أحمد عبد اللطيف نائب الرعاية المركزة من مريضة لديه فى العناية كان يركب لها أنبوب MRSA ببنها، والذى قيل إنه أصيب بعدوى أحمد أن يصير (خالد سعيد الأطباء)، والصفحة التى .قصبة هوائية.. مع الوقت يوشك د كلنا أحمد عبد اللطيف). لقد جاءت وفاة د.أحمد لتكون القشة)تنعيه بالفعل تحمل اسم .التى قصمت ظهر البعير فى علاقة الأطباء بوزارتهم وربما نقابتهم كذلك

كان الأطباء الشباب يعانون الاضطهاد المادى.. ثم جاءت حالة الانفلات الأمنى بعد الثورة، وظاهرة أقارب المرضى البلطجية الذين يضربون الممرضات والأطباء أولاً قبل أن يخبروهم ..بشكوى المريض.. الآن جاءت العدوى التنفسية القاتلة التى تحصد كل يوم أسماء أخرى

ألم أخبرك أن د. أسامة راشد بمستشفى المنصورة (٣٨ سنة – أب لثلاثة أطفال أكبرهم فى أولى ابتدائى) توفى إلى رحمة الله فى نفس الظروف؟.. لم ينقل لمستشفى فى القاهرة أنا .إلا بعد ١٩ يومًا، وبعد ما توفى طبيبان آخران.. وقد سبب هذا التأخير سخطًا فى النقابة أؤمن أن د. منى مينا شخصية باسلة نشطة، لكنها تواجه الغضب الهائل بين ما تستطيع تحقيقه فعلاً وبين مطالب الأطباء ولا أقول أحلامهم.. يقول أحد الأطباء على النت عن د. أسامة: «عارفين كمان كان بيتعامل ازاى فى مستشفى الجامعة بعد الموضوع ما طول؟ عارفين لما احتاج دواء موجود فى مركز غنيم حصل ايه؟ عارفين أخوه الطبيب لما أصر على نقله للقاهرة زى النقابة ما وعدت وكيل الوزارة عمل معاه إيه؟ عارفين الدكتور ده صرف كام فى مرضه؟ عارفين الدكتور ده هيقبض معاش كام؟ وفى أخر الحكاية السؤال هو ياترى الدور على مين فينا؟»". لا أعرف إجابة هذه الأسئلة لكن من الواضح أن الإجابة عنها كارثية و(زى الزفت). جاء دور د. ياسر البربرى من الدقهلية ليلحق برفاقه، وقد بدأنا الكلام بذكر دكتورة دعاء. بعد هذا صار خبر وفاة طبيب بالعدوى التنفسية بابًا ثابتًا فى الصحف مثل .باب السودوكو والكلمات المتقاطعة

لقد فجر هذا الكثير من الغضب الاجتماعى، خاصة والطبيب يقبض مبلغ ١٩ جنيهًا كبدل للعدوى وهو يتنفس هواء ملوثًا ويقف وسط أسرة ملوثة فى دماء ملوثة. بينما السلك القضائى مثلاً يحصل على ١٢٠٠ جنيه كبدل للعدوى. ما هى فرص التعرض لعدوى فى المحكمة؟

وزارة الصحة تصر فى كبرياء على أن الأمور مستقرة..نشر الكثير من الأطباء صورًا للقطط التى تنام على الأسرة فى مستشفيات وزارة الصحة وتخطف طعام المرضى، فكان رد وزيرة الصحة د. مها الرباط أنه يجب أن يكون الطبيب إيجابيًا ويهش القطة..!... على الطبيب الصالح أن يهش القطط وينش إذن، ويلعب التايكوندو مع أقارب المريض الذين يحملون السنج، لأنه ابن الجارية طبعًا ..ويبتسم للمرضى ويقرأ أحدث المراجع ويكون رائعًا.. لماذا؟..

ماذا يقتل الأطباء؟.. هل تقدم وزارة الصحة بيانًا واضحًا شفافًا؟... سيظل الأمر لغزًا مثل أمراض الصيف المعدية والسحابة السوداء، لكن لدينا تفسيرًا سهلاً واضحًا يريح الجميع: قتلهم هبوط حاد فى الدورة الدموية والتنفسية.

حمى عدم اليقين

حمي كيو.. مرض قديم يعرفه كل طالب طب، ينقله ميكروب اسمه (كوكزيلا برنتي (الذي يمت بصلة قرابة للتيفوس. تم وصف المرض في أستراليا منذ قرن تقريبًا والميكروب معروف منذ عام ١٩٣٧ هذا المرض ينتقل عن طريق الخراف والماعز إلي الإنسان بوساطة الاستنشاق واللبن غير المغلي. في المناطق الريفية في مصر يمكن القول إن كل طفل أصيب به يومًا ما. الأعراض عامة ومبهمة جدًا لهذا سمي المرض «حمي كيو» Q بمعني Queryأو (عدم اليقين)، لكنها قد تشبه الإنفلونزا، والأشعة علي الصدر تريك ظلالاً من الالتهاب، وقد يحدث التهاب في صمامات القلب التالفة أصلاً. عامة يستجيب المرض بسهولة لبعض كبسولات التتراسيكلين أو السلفا وتنتهي المشكلة، ومن السياسات العامة التي تعلمتها أيام الوحدة الريفية أن تجرب التتراسيكلين مع هذه الحميات الغامضة لو لم يكن هناك مانع طبي، لأن فرصة عمل اختبارات معقدة شبه مستحيلة مع إمكانياتنا، ولأن التتراسيكلين قد يقضي علي مرض اللجيونيلا والسيتاكوزس بالمرة.
المرض قديم كما قلت ومتوطن في مصر..

لماذا قررت الصحف إذن أن (إنفلونزا المعيز تجتاح العالم)، بينما بدأ الأمر بخبر في موقع غربي يقول إن هولندا تواجه انتشارًا لحمي كيو؟

هي ليست إنفلونزا علي الإطلاق ففيروس الإنفلونزا لا يسببها، وهي قابلة للعلاج بالمضادات الحيوية العادية، ومنظمة الصحة العالمية لم تستعمل سوي اسم (حمي كيو).. وهي لا تجتاح العالم.. لقد كانت موجودة في مصر طيلة الوقت، ولا أستبعد أن يكون الصحفي الذي كتب الخبر نفسه مصابًا بها. منتهي الجهل وعدم المسئولية واستغلال الفرص والأنانية وعدم التدقيق والبحث عن الإثارة بأي شكل، وهكذا التقطت كل الصحف ومواقع الإنترنت الخبر وصارت هناك ظاهرة جديدة اسمها (إنفلونزا المعيز)، وجاء اليوم الذي يسألني فيه سائق التاكسي:

-«حنعمل إيه في إنفلونزا المعيز دي يا باشمهندز؟«

قلت له إنني لست مهندزًا لكنني طبيب أمراض معدية، وكل هذا كلام فارغ، فراح يهز رأسه ويمصمص شفتيه مع ترديد (يا سلام) مبديًا انبهاره بدقتي العلمية وأنا أشرح له ما هي حمي كيو هذه، ثم في النهاية

الوقت وقت هذا الكلام غير العلمي بينما المرض يزداد توحشًا؟. هناك خبر يقول: «كشفت خبيرة اللقاحات بمنظمة الصحة العالمية ماري بولي عن الاشتباه في إصابة ما لا يقل عن ١٢ شخصاً من مختلف دول العالم بالشلل نتيجة حقنهم باللقاح المضاد لإنفلونزا الخنازير، وأضافت: لم يثبت بالدليل القاطع ارتباط أي من حالات الإصابة بمتلازمة (جوليان باري) باللقاح حتي الآن». هل فهمت أي شيء؟.. هناك 12 شخصًا أصابهم اللقاح بالشلل لكن لم يثبت أن اللقاح أصابهم بالشلل .! هناك موقع إنترنت أعلن في انتصار عن وفاة تلميذ مصري أخذ اللقاح، ثم تقرأ الخبر فتكتشف أنه يتحدث عن الطفل الذي أصيب بإنفلونزا الخنازير ومات عقب جرعة من الفولتارين. السبب أن الأخ محرر الخبر ظن أن اللقاح اسمه)فولتارين). وبهذه المناسبة أعتقد أن عقار (دايكلوفيناك) أو فولتارين تلقي ضربة قوية جدًا بعد هذه الدعاية السيئة له برغم أنه من أهم الأدوية في ترسانة مضادات الالتهاب/مخفضات الحرارة. لماذا وضعته وزارة الصحة في قائمة الممنوعات بهذه السهولة برغم أن أحدًا لم يتهمه بشيء سوي في بعض حالات التهاب المخ في اليابان، وهذا كلام قديم؟. اليوم يمكن أن يمزق المريض طبيبه لو كتب له (دايكلوفيناك)، ولسوف تكتب الصحف صفحات كاملة عن مسلسل الجهل لدي الأطباء.. يا لله.. خلي الناس تقرا وتنبسط..

الآن صارت مشكلة المواطن المصري مزدوجة: اللقاح قاتل ويحدث شللاً. اللقاح غير متوافر ويُعطي للمحظوظين فقط !!! هذا يذكرك بكلمة وودي آلين الساخرة: الحياة قاسية مليئة بالآلام لكنها كذلك قصيرة.. قصيرة جدًا!

هناك عشرات المشاكل تواجه مصر اليوم، بدءًا بالتوريث مرورًا بمياه النيل والتعليم والبطالة ..وانتهاء بإنفلونزا الخنازير. لكنني أضيف لها خطرًا يعبث عبثًا مروعًا في عقل المواطن الذي يصدق كل شيء ويشك في كل شيء.. هذا الخطر هو النشر غير المسئول أو الجاهل أو معدوم الضمير.

الجزء الخامس

الحل

الأستاذ مزروع هو الحل

ولّت أيام المدرسة.. أيام الحواديت وقضم الأظافر... لكن كيف تشكر شخصًا رافقك في رحلتك من أيام الألوان الشمع حتي طلاء الشفاه؟.. ليس هذا سهلاً لكن سأحاول ..لو أردت السماء لكتبت عليها بحروف ارتفاعها ألف قدم: إلي أستاذي مع حبي..

أعرف وأنا أرحل أنني أفارق أفضل صديق لي .. صديق علمني الصواب من الخطأ، وعلمني الضعف من القوة، وهو درس عظيم حقًا .. لو أردت القمر فلسوف أحاول البدء به، لكنني سوف أمنحك قلبي.. وأقول: إلي أستاذي مع حبي«..
هذا مقطع من كلمات الأغنية المؤثرة: «إلي أستاذي مع حبي» أغنية الفيلم البريطاني الذي عرض في مصر باسم «مدرسة المشاغبين»، وكانت شهيرة جدًا في أواخر الستينات.
أتذكر هذه الأغنية بشكل مُلحّ هذه الأيام وأنا أقرأ تصريحات أوائل الثانوية العامة التي صارت تكرر ثلاث نغمات أبدية:
-1الفضل لله ثم للدروس الخصوصية ٢
-لم نعد نذهب للمدرسة إلا للعب كرة القدم . أي أن المدرسة تحولت إلي ناد كبير للعب ولا تصلح لشيء آخر
-3الكتب الخارجية هي الأساس والكتاب المدرسي لا قيمة له
»أي أن مبلغ ١،٥ مليار جنيه تنفقه الوزارة عليه يضيع هدرًا«! كانت اعترافات المتفوقين في الماضي تركز بشدة علي أهمية المدرسة وتنفي الدروس الخصوصية باعتبارها عارًا، وحتي فترة قريبة جدًا كان من يتعاطي الدروس الخصوصية يخفي ذلك كأننا نتكلم عن تعاطي المخدرات. متي وكيف صار هذا مصدر فخر؟ ..
أتذكر أيام المدرسة وأشعر بأن الفارق بين مدرسة الماضي ومدرسة الحاضر يلخص كل شيء طرأ علي مصر والمصريين. في ذلك الزمن لم يكن الأستاذ قد تحول إلي مستر ولم تكن الأبله قد تحولت لميس، وبالتأكيد لم تتحول الرياضيات إلي »ماث«. كنت في مدارس مجانية، لكني تعلمت علي أيدي أعظم أساتذة علي الإطلاق، ولولا أننا كنا مراهقين قليلي الأدب للثمنا أرجل هؤلاء صباحًا ومساء .أتذكر بالذات الأستاذ «محمد مزروع» أستاذ اللغة العربية والدين الذي علمنا عشق اللغة العربية، وكان يدرك أنه يتعامل مع مراهقين يتحسسون خطواتهم الأولي نحو عالم الرجولة، لهذا لم يكن عمله يقتصر علي التدريس، بل كان يراقب خطواتنا المرتبكة هذه ويسدي لنا النصح .. لماذا كنت في الشارع وحدك

الساعة العاشرة مساء أمس يا فلان ؟.. لماذا اشتبكت باللكمات مع محمود يا فلان ؟ ..
ريفي شديد التدين والكبرياء وواسع الأفق، وبرغم أنه لم يكن يضرب إلا نادرًا فإن هيبته كانت قوية. لا أعرف إن كان الأستاذ مزروع سيقرأ هذه السطور أم لا، لكني سأشعر بالخجل الشديد لو فعل، لأنه قادر علي أن يستخرج مائة خطأ لغوي علي الأقل..
في حصة المحفوظات - وكان في الصف طلاب أقباط بطبيعة الحال - ينهض صاحبي معلقًا علي بيت من الشعر قائلاً: إنه يثبت أن المسيح لم يُصلب كما يزعم المسيحيون. صاح فيه الأستاذ مزروع: «خلاص.. اقعد !». عاد صاحبي يكرر ما قال فانفجر الأستاذ مزروع غاضبًا: «قلت لك اخرس .. يعني خلاص ؟.. الامتحان مش حييجي إلا في الحتة دي ؟.. المواضيع دي يا أولاد يا تُثار إلا في حصة الدين لما نكون وحدنا .. غير كدة تبقي جرح مشاعر». . درس آخر لن ينساه الطلاب .هل كان الرجل علمانيًا أو قليل التدين ؟.. بالطبع كان من أكثر من عرفت تدينًا لكنه التدين السمح الذكي الذي يحترم الآخر ولا يسعي في صلف لكسب حقده ..
القائمة طويلة .. الأستاذ «سعد الخضري» يظهر ليلقنك القواعد الأولي للغة الإنجليزية القواعد التي ستظل معك طيلة حياتك، وستجعل إنجليزيتك ممتازة برغم أنك لم تقرأ أو تكتب حرفًا إنجليزيًا قبل الصف الأول الإعدادي. إنه يتلمظ بشفتيه كلما ركَّب عبارة إنجليزية ليتأكد من أنها «طعمة والا مش طعمة»، وحتي اليوم كلما قلت جملة بالإنجليزية أسأل نفسي: "طعمة والا مش طعمة ؟".. هل كان الرجل العظيم سيقبلها أم يرفضها في اشمئزاز ؟. سأحدثك عن أستاذ «مجدي عبد المسيح» الذي راح يشرح لنا تركيب DNA والحمض النووي والريبوزوم حتي بُحَّ صوته، وعندما صحنا في احتجاج أننا تعبنا صاح في توتر» :لازم تخرجوا من هنا فاهمين الكلام ده.. لو ما فهمتوش دلوقت مش حاتفهموه طول حياتكم !«. تذكرت صيحته هذه وأنا أدرس هذا الكلام بالتفصيل في كتب الطب ..الأمر أكثر تعقيدًا بالطبع لكن الأساس موجود .
وماذا عن أستاذ محمد القاضي الذي علمنا لأول مرة أن هناك علمًا اسمه التجويد ؟.. وماذا عن تثقيفه المستمر لنا في تلك السن الخطرة وكيف حدثنا عن الجماع والاستمناء من الناحية الشرعية ؟. بعض المدرسين عرفوا أن كسب هذه السن الصعبة يحتاج إلي مزيج من الصداقة و الشدة وربما بعض الدعابات الخبيثة يدسونها هنا وهناك، بحيث تكسب المراهقين وتضحكهم دون أن تعتبر ابتذالاً ..ومن قال إن التدريس فن غير شاق ؟
وماذا عن أستاذ «فتحي موسي» ومعادلات الدرجة الأولي وقواعد ضرب الأقواس ؟ ..الأستاذ «صالح» مدرس اللغة الإنجليزية. وحرصه الدائم علي أن نكتب ثلاث أو أربع مترادفات لكل كلمة جديدة، وماذا عن أبلة «منيرة العدوي» التي تسلمت تلك الأمانة في البداية ؟..
مجموعة من أحباب الله أقرب إلي قطط صغيرة وليدة لا تعرف شيئًا عن أي شيء ؟.. وكيف جعلتهم يكتبون ويحسبون ويرسمون .. أذكر صوتها المبحوح قليلاً وهي تحكي لنا قصة

الإسراء والمعراج وقصة سيدنا إبراهيم.. لقد نسيت الكثير جدًا مما تعلمته لكن ما لقنته لي باق.. هذه من اللحظات التي يوشك فيها المعلم أن يكون رسولاً فعلاً، وما زلت حتي اليوم وأنا أدنو من الخمسين ألقي بالسيجارة من يدي لو لمحت أحدهم قادمًا من بعيد .

شالفصول الأخري الذين لا يدرسون لهم في المدرسة، وكان ذلك بصورة سرية هامسة، لكن عدا ذلك لم تنتقص الدروس شيئًا من الجهد الذي يبذلونه في الفصل. لكن الموضوع أعقد من أن تتهم مدرس اليوم بأنه أقل مستوي من هؤلاء أو أنه أكثر جشعًا.. الحياة نفسها أكثر تعقيدًا.. المتطلبات أكثر. في الماضي كان ما يحصل عليه المدرس يكفيه، فإذا استزاد كانت الدروس الخصوصية كافية، ثم تأتي الإعارة إلي ليبيا وسواها، وهذه تكفي لشراء قطعة أرض بملاليم يبني عليها بيتًا صغيرًا، وتكفي لزواج البنتين .

إن الحياة تزداد تعقيدًا بطموحاتها والسعار الاستهلاكي الذي أصاب المجتمع، دعك من تغير سيكولوجية الناس ذاتها، بحيث صارت الدروس الخصوصية حاجة اجتماعية ملحة بين التفاخر والخوف من التقصير في حق العيال. يقولون إن سوق الدروس الخصوصية سنويًا تقدر بـ ١١مليار جنيه، والبعض يرتفع بالرقم إلي 14مليار جنيه. لكن من الذي يطالب المدرس.اليوم بأن يكتفي براتب الوزارة لتفترسه الحياة افتراسًا؟. من يقنع الأهالي بأن يعطوا المدرسة فرصة ؟ ..هناك مدارس قامت بتجارب ممتازة وكونت مجاميع داخلية لكن ثقافة الدروس الخصوصية هزمتها. نحن إذن في دائرة شيطانية: لماذا نحترم المدرسة والمدرسون لا يلتزمون ؟.. لماذا يلتزم المدرسون والطلبة لا يحترمون المدرسة؟. نحن في أغسطس لكن الكل قد حجز مواعيد دروس العام القادم، وصدرت الكتب الخارجية كلها، وكل طالب يعرف أنه لن يذهب للمدرسة بعد شهر.. سوف تتحول المدرسة إلي ملعب كرة قدم كبير لا أكثر. هل تتوقع أن تتم أي عملية تعليمية جادة في ظروف كهذه ومن يقدر علي وقف هذا القطار ؟

المشكلة كبيرة وحلها يحتاج إلي ثورة كالتي قامت بها الولايات المتحدة في الستينيات بعد ما غزا السوفييت الفضاء، وكل خبير تربوي عندنا يعرف التشخيص والعلاج جيدًا، لكنه لا يملك سلطة تنفيذية. أعرف أن هناك مخرجين وحيدين لمشاكل مصر . هذان المخرجان هما الديمقراطية والتعليم. الديمقراطية ليست في أيدينا لأسباب معروفة.. إذن يبقي التعليم .. بمعني آخر: الأستاذ مزروع هو الحل